
النداء
t.me/twinkling4
أسامة المسلم


النداء

ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المسلم، أسامة محمد
النداء. / أسامة محمد المسلم - ط ١ - الدمام، ١٤٤٥ هـ
ردمك: ٠-٨٦-٨٤٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣، ٠٣٩٥٣١ ١٤٤٥/٩١٩
رقم الإيداع: ١٤٤٥/٩١٩
ردمك: ٠-٨٦-٨٤٠٣-٦٠٣-٩٧٨

مصمم الغلاف في انستقرام: @ahmedmss
تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: أشرف غالب



مسؤول النشر:
للتواصل
0597777444

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني:
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي **00971569767989**

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي **00201120102172**


ضاد
t.me/twinkling4



الروائي

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

Komontage

@Komontage

١٤٤٥ هـ – ٢٠٢٣ م



بين مخير ومسير يمضي البشر في حياتهم..

وبين مفترس وضحية تهيم البهائم فيما بينها..

لكن.. هل هناك فرق حقّاً؟

وهل نحن من يختار خطواتنا التي نخطوها؟

أم أن هناك من يمكر بنا؟..

ويقودنا حيث يشاء..

أسامة المسلم



الضحية التي تُساق لحد السكين..



لا تُدرك ذلك أو تعيه..

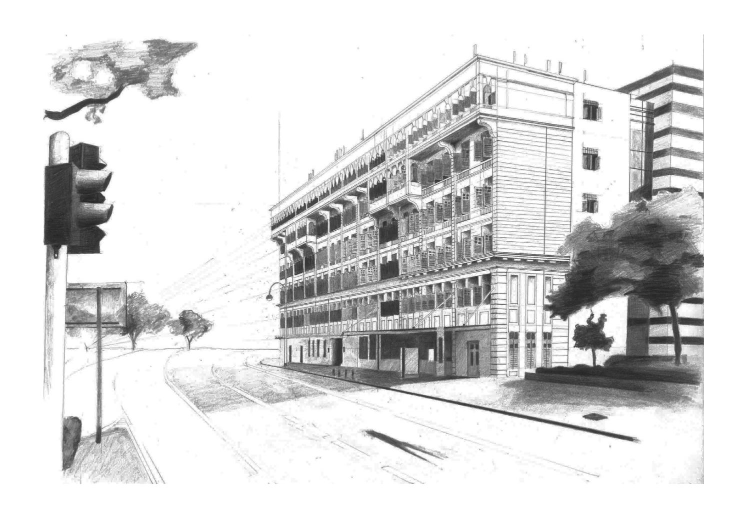


حتى فوات الأوان..





وجهة نظر أخرى



أمام مبنى شرطة المدينة وقف رجل يتأمل مدخله وهو يدخن سيجارته بهدوء مراقباً الناس وأفراد الشرطة الداخلين إليه والخارجين منه. قوطع سرحانه حينها اقترب منه أحد أفراد الشرطة وسأله عن سبب وقوفه هنا بهذا الشكل.

وضع الرجل سيجارته في فمه وأخرج بطاقته ومدها أمام وجه الشرطي الذي تغيرت ملامحه وقال:

«أعتذر يا سيدي على إزعاجك.. هل هناك خدمة يمكن أن أقدمها لك؟»

أمسك الرجل سيجارته بسبابته وإبهامه وأخذ نفساً طويلاً منها قبل أن يرمي بها تحت قدمه ويدوسها قائلاً والدخان يخرج من أنفه:

«خذني لمكتب مدير الدائرة..»



(الشرطي) وهو يمد كفه تجاه مدخل المبنى: أمرك.. تفضل من هنا..

(الرجل) مشيراً له بالتقدم قبله: من بعدك أنت

سار الشرطي وهو مرتبك ومن خلفه الرجل..

في الطابق الخامس من مبنى الشرطة طُرق باب مدير المديرية وحينها أُذن للطارق بالدخول دخل الشرطي ومن خلفه ذلك الرجل وحينها وقعت أعين المدير عليه تذكره في الحال ونهض من مكانه مرحباً به ومد كفه لمصافحته:

«المحقق (إياد)!.. أهلاً بك في مدينتنا المتواضعة إنه لشرف لنا وجودك معنا..»

تقدم (إياد) مصافحاً المدير قائلاً: الشرف لي يا عميد (غازي) أشار المدير للشرطي بالخروج وتركها وحدهما..

قدم الشرطي التحية وهم بالخروج لكن المدير استوقفه وهو يعود لمكتبه وقال: انتظر..

وجه المدير نظره لـ (إياد) الذي جلس أمامه وقال: كيف وجدت السكن الذي خصصناه لك في مبنى الضباط؟

(إياد): جيد ومناسب.. وهادئ

(غازي): جيد.. جيد.. ماذا تشرب يا محقق (إياد)؟



(إياد): قهوة سوداء.. والكثير من السكر

تبسم المدير ثم وجه نظره للشرطي الذي فهم وقال: حاضر

بعد خروج الشرطي عقد المدير أصابعه وأسندها لسطح طاولته وقال: بالطبع شرح لك المحقق (نادر) السبب لطلبنا معاونة شرطة العاصمة

(إياد): نعم أخبرني.. وحسب ما فهمت أنني هنا منتدب أو معار بشكل مؤقت لكنه لم يخبرني إلى متى

(غازي) باسماً: هذا حسب مجهودك..

(إياد): لم أفهم

(غازي): كا تعرف نحن مدينة كبيرة لكن لسنا بحجم العاصمة وكما هو الحال دوماً حينها يبرز أي شرطي أو محقق في عمله ويتميز به يتم نقله لفريق شرطة العاصمة لذلك فهم يملكون أذكى المحققين وأمهر أفراد الشرطة

(إياد): العاصمة كبيرة وتعداد سكانها كثيف وعدد الجرائم هناك..

(غازي) مقاطعاً: نعم نعم أنا مدرك لذلك مثلما كل الأقسام بالمدن الأخرى يتفهمون حينما يُسلب منهم أفضل موظفيهم فقط لأنهم برعوا في تأدية عملهم لكن هذا يأتي مقابل ثمن وهو أننا لا نستطيع حل الكثير من القضايا التي يمكن تسميتها «صعبة» وهذا يؤدي لتراكم القضايا «الباردة» أو المقيدة ضد مجهول

(إياد): وهذا أمرٌ مزعج ومعيب في حق أي دائرة شرطة



(غازي): بالضبط.. ونحن نعاني مؤخراً من هذا التراكم غير الحميد.. المحققون هنا ليسوا سيئين، بل على العكس تماماً فمعدل حلهم للقضايا عالٍ جدّاً بالمقارنة مع الدوائر الأخرى لكن..

(إياد): لكن ماذا..؟

(غازي): خلال السنوات الثلاث الماضية تزايدت قضايا من تصنيف معين.. لأشخاص يختفون بدون سبب.. ومهما حاولنا كشف أسباب اختفائهم نصل لطريقٍ مسدود.. لا يوجد أي أدلة واضحة يمكن أن تقودنا لشيء وكل الذين حققنا بهم لم نتمكن من ربطهم بحوادث الاختفاء تلك وكنا سنتجاهل الأمر لولا زيادة عدد تلك القضايا غير المحلولة بشكل محرج لي معهم كمشتبه وللقسم بالكامل

(إياد): عن كم قضية نتحدث؟

صمت مدير الشرطة لثوانٍ ثم أخرج علبة سجائره وأشعل لفافة وقال: «٥٣ قضية..»

(إياد) بتعجب: هذا عدد كبير جدّاً!

(غازي): أنا مدرك لهذا الأمر.. لكن لو تمكنا من حل ثلث هذا العدد فقط فسوف نخرج من دائرة الإحراج قليلاً أمام الوزارة لذا لجأت وطلبت من صديقي القديم (نادر) أن يعاونني في تخفيف هذا العدد من القضايا التي تكدست لدينا بالأرشيف فقام مشكوراً بترشيحك لنا لمساعدتنا في ذلك

(إياد): لكن هناك مشكلة



(غازي): ما هي؟

(إياد): سجلي في حل القضايا...

(غازي): أعرف.. أنت المحقق الوحيد الذي لم يستلم قضية دون أن يحلها وسجلك خالٍ من القضايا المقيدة ضد مجهول ولهذا يجبك (نادر) ويثق بك فهو الوحيد الذي يحمل الإنجاز نفسه بالبلاد

(إياد): في الحقيقة معلوماتك ليست دقيقة.. سجلي كان نظيفاً حتى..

(غازي) مقاطعاً: حتى استلمت قضية «البناية».. أخبرني (نادر) عن الموضوع

أخرج (إياد) علبة سجائره وأشعل هو الآخر لفافة تبغ وبدأ يدخنها بصمت سارحاً أمامه وكأن ذكر تلك القضية عكر مزاجه وأزعجه..

(غازي): اسمع يا بني.. لا يوجد محقق يتمكن من حل جميع القضايا التي توكل إليه.. أعظم المحققين يحملون في سجلاتهم قضايا كثيرة مقيدة ضد مجهول أو وصلت لطريقٍ مسدود لكن في المقابل لديهم أضعاف ذلك العدد من القضايا المحلولة والتي تمكنوا من خلالها من تحقيق العدالة

(إياد): السيد (نادر) ليس لديه قضية لم تحل

(غازي) باسماً: وهل أنت في منافسة معه؟

(إياد): لا ولكن .

(غازي): لا تدع طموحك يكون عائقاً أمام تقدمك وإنجازك..



(إياد): ماذا تقصد؟

(غازي): أقصد أن الشغف في تحقيق أهدافنا شيء جميل ومصدر طاقة محرك للإنجاز لكنه قد يتحول دون شعور منا لهوس وحينها يصبح أداة للتدمير..

(إياد): تدمير ماذا؟

(غازي): تدميرك أنت وكل ما يمكنك أن تقدمه.. نحن لا نطلب منك حل جميع القضايا التي سنقدمها لك.. فقط عشر قضايا أو خمس عشرة قضية لا أكثر وسيكون ذلك كافياً وخدمة سنكون ممتنين لك لو قدمتها لنا

(إياد) مطفئاً السيجارة: سأحتاج بعض المساعدة

(غازي): الدائرة كلها مسخرة لك ورهن إشارتك وسوف أصدر أمراً بأن تتعاون معك جميع الأقسام هنا دون الرجوع إليّ

(إياد): وأين أجد هذه القضايا؟

نهض (غازي) وأشار لـ (إياد) بأن يتبعه..

خرج الاثنان من المكتب ونزلا للطابق الثاني ودخلا غرفة كتب على بابها: «قسم الأرشيف» وحينها توسطاها وقف فتىً في منتصف خرج العشرين من عمره بارتباك وهو يقدم التحية لمديره مسقطاً كرسي مكتبه وراءه قائلاً: أهلاً سيدي!

(غازي) مشيراً له بكفه بالجلوس محدثاً (إياد): هنا ستجد جميع ملفات القضايا بكافة أنواعها.. المحلولة والمقيدة ضد مجهول حتى البلاغات



الكاذبة.. كل شيء.. و (ياسر) سيعاونك في إيجاد كل ما تريد وسيقدم لك كل المعلومات التي تحتاجها

(إياد): وأين سأدرس القضايا؟

أشار (غازي) لـ (ياسر) بالتنحي عن مكتبه ففعل بعد ما أعاد الكرسي لمكانه..

(غازي) باسطاً كفه فوق مكتب (ياسر) الخاوي: هذا هو مكتبك الجديد!

(إياد) موجهاً نظره لـ (ياسر): وماذا عنه؟

(ياسر) بارتباك ونبرة متقطعة: لا تقلق يا سيدي سوف أحضر لي مكتباً آخر!

(إياد) وهو يجول بنظره من حوله: المكان ضيق ولا يستوعب مكتبين

(غازي): سيكتفي بكرسي مريح.. هل تحتاج إلى شيء آخر؟

تقدم (إياد) نحو المكتب ماسحاً بأنامله على سطحه متأملاً النافذة خلفه:

«قهوتي التي لم تصل لمكتبك.. مطفأة سجائر.. والكثير من الوقت..»

(غازي) باسماً: خذ كل الوقت الذي تحتاجه ولن يطلب أحد منك الرحيل قبل أن تقرر أنت ذلك

(إياد): والقهوة والمطفأة؟



(ياسر) قبل أن يهم بالخروج على عجالة: في الحال سيكون كل شيء عندك!

خرج (ياسر) تاركاً (غازي) يحملق في (إياد) الذي دنا من النافذة وبدأ يتأمل الناس في الخارج..

حدثه (غازي) من خلفه قائلًا:

«عشر قضايا أو خمس عشرة قضية فقط يا (إياد).. لا تغرق في وحل لا يمكنك الخروج منه..»

(إياد) ملتفتًا نحو (غازي): «قدمي غطست وقد بدأنا..»





دوامة الأدلة



لم يهدر (إياد) أي وقت وطلب من (ياسر) تزويده بجميع ملفات القضايا غير المحلولة والمقيدة ضد مجهول وبدأ بقراءتها ودراستها واحدة بعد الأخرى على مدى أيامٍ عدة مستهلكاً خلالها الكثير من السجائر وأقداح القهوة التي كان يطلبها باستمرار من (ياسر) الجالس أمامه دوماً على كرسيه لدرجة أنه لم يعد يتكلم لطلبها فبمجرد أن يرفع أصبعه في الهواء ينهض (ياسر) فوراً ويخرج ليعد له قهوته السوداء المملوءة والمشبعة بالسكر.

بقي الاثنان على تلك الحالة لمدة تجاوزت الأسبوعين ولم يخرج (إياد) من المكتب للميدان أو يقدم أي تقرير لمدير الشرطة عن أي تطورات جديدة تخص تلك القضايا مما دفع (غازي) لزيارته يوماً في مكتب الأرشيف والدخول عليه وهو منكب على الملفات المتراكمة أمامه ومدفون بينها ومن شدة تركيز (إياد) بها وانغماسه لم يلحظ دخول



(غازي) عليه لكن (ياسر) انتبه ووقف مقدماً التحية لرئيسه الذي أشار له بالخروج وتركه مع (إياد) وحدهما.

جلس (غازي) على كرسي (ياسر) وبقي يتأمل (إياد) حتى لاحظ وجوده فأغلق الملف الذي كان بيده وقال: عميد (غازي)؟..عذراً.. لم ألحظ وجودك

(غازي): لا تشغل بالك.. هل نتج شيء عن وجودك هنا كل هذه الفترة؟

(إياد) واضعاً الملف جانباً ملتقطاً علبة السجائر مشعلاً لفافة: نوعاً ما.. معظم وقتي أمضيته في ترتيب عمل موظفيك

(غازي): ماذا تقصد؟

(إياد) واضعاً السيجارة في فمه مشيراً لثلاث مجموعات من الملفات مكومة على الأرض بجانبه: «بالرغم من تقصير محققيك في جمع الأدلة المطلوبة بشكل صحيح ودقيق ناهيك عن العبث الذي حدث في مسارح الجرائم من قبل أفراد الشرطة إلا أن بعض القضايا تم حلها..»

(غازي) مبتهجاً: حقاً؟!.. كم قضية؟!.. أكثر من عشر ؟!

رفع (إياد) كومة ملفات من على الأرض ووضعها على سطح المكتب أمام (غازي) وقال:

«العدد الإجمالي «٣٥ قضية».. كل قضية يوجد داخلها تقرير يشرح سبب الاختفاء وفي حال وجود مجرم تم تدوين اسمه وعلاقته بالضحية وبعض القضايا لم تكن اختفاء، بل مجرد هروب..»



(غازي) بتعجب: كيف تمكنت من ذلك وأنت لم تخرج من هذه الغرفة إلا للذهاب للمنزل في وقت متأخر؟!

(إياد): في الحقيقة بت هنا بضعة أيام متفرقة بعد ما طلبت من (ياسر) تزويدي بفراش ولحاف

(غازي): دعك من ذلك.. لم تجب على سؤالي.. كيف تمكنت من حل هذه القضايا دون بحثٍ ميدانيٍّ؟

(إياد) حاملاً الكومة الثانية: لأن المعلومات التي جمعت حولها لم تكن بذلك السوء مثل هذه المجموعة

(غازي): ماذا تقصد؟

(إياد) واضعاً الكومة الثانية بجانب الأولى أمام (غازي): هذه ثماني قضايا التحقيق بها كان ضعيفاً جدّاً والأدلة التي جمعها محققوك لم تكن سوى إفادات مختصرة وكأنهم لا يريدون حلها.. لكني بعد ما أخرج للميدان سأصلح كل ذلك.. سيستغرق الأمر أسبوعاً كحد أقصى

(غازي) بتجهم: أنا لا أسمح لك بأن تنتقص من مهارة محققينا والتحدث عنهم بهذه الطريقة؟

(إياد) بهدوء: عميد (غازي).. مع احترامي لك أنت من طلبت مساعدتي وليس العكس

(غازي): نعم لكن هذا لا يعطيك الحق في..

(إياد) مقاطعاً وهو يمد ورقة لـ (غازي): هذه قائمة بأسماء المحققين في دائرتك مرتبة من الأفضل إلى الأسوأ ومن خلفها القائمة نفسها لأفراد



الشرطة.. هذا لو أحببت التعرف على قدرات الكوادر التي تعمل تحت إمرتك

أخذ (غازي) الورقة وعيناه لم تنزلا عن (إياد) وهو يدخن ويجهز كومة الملفات الثالثة..

وضع (إياد) الكومة الثالثة جانباً على الأرض وقد احتوت على عشرة ملفات ولم يقدمها لـ (غازي) مثل البقية وبقي يتأملها ويدخن بصمت..

(غازي): ما الأمر؟.. ماذا عن بقية الملفات؟

(إياد) وهو لا يزال سارحاً بها: هذه القضايا غريبة جدّاً وليست كالأخريات..

(غازي): غريبة كيف؟

(إياد) مشيراً لكومة الملفات بسيجارته دون أن ينقطع سرحانه بها: هناك شيء مشترك بينها لكني لم أتمكن من اكتشافه حتى الآن.. التشابه بينها كبير بقدر الاختلاف

(غازي): لم أفهم..

(إياد): ولا أنا.. ليس بعد.. لكني سأكتشف السر والرابط بينها (غازي): لا داعي لذلك.. لقد قدمت لنا أكثر مما طلبناه وتوقعناه منك وفي وقتٍ قياسي ونحن ممتنون لذلك

(إياد) وسرحانه ينكسر ملتفتاً نحو (غازي) بوجه متسائل: ماذا تقصد؟



(غازي): أقصد أن مهمتك انتهت وسوف أبلغ (نادر) بأنك ستعود لمركز العاصمة الأسبوع القادم

(إياد) معتدلاً في جلسته مطفئاً السيجارة: الاتفاق هو أن أقرر أنا متى أرحل..

(غازي): لا تظن أن ما أفعله جحودٌ لكني أرى أنك وقعت في الفخ الذي حذرتك منه قبلاً

(إياد): فخ ماذا؟

(غازي): الهوس.. هذه القضايا لم يكن مقدراً لها أن تُحل لكنك معجزة بحل أكثر من نصفها ولو توقفت الآن فلن نبالي بالقضايا الثماني عشرة الأخرى في سبيل انتشالك

(إياد) بخليط من العجب والسخط: انتشالي من ماذا؟!

(غازي): من الحالة التي ستصيبك وأصابت (نادر) من قبلك بعد ما تقاعد..

(إياد): السيد (نادر) عاد للخدمة بعد فترة بطلب من الوزير ولم يصب بأي حالة كما تدعي.. لقد كان مستمتعاً بتقاعده

(غازي) باسماً: بل دخل في حالة من الاكتئاب قادته لقضية أخرى.. و(نادر) لم يكن ليرضى أبداً أن يعود لعمله وهو لم يحل تلك القضية..

(إياد): عن أي قضية تتحدث؟



(غازي): قضية أوكلت إليه بطلب من زملائه كنوعٍ من المساعدة حينما كان يقضي وقته بها أسميته تقاعده الممتع

(إياد): لا أفهم.. لقد تقاعد عن العمل بسجلٍّ نظيف وكل قضاياه طيلة فترة خدمته كانت محلولة والمجرمون فيها جميعهم قُدموا للعدالة

(غازي): عدا قضية واحدة.. قيدت كإزعاج للسلطات بناءً على طلبه حينها اجتمع وقتها بكبار المحققين في القسم ومعظمهم كانوا تلاميذ عنده ولم يرفضوا له ذلك الطلب بالرغم من وجود دليل قاطع على وقوع الجريمة.. قليل من المحققين يعرفون تلك الحقيقة

(إياد): وكيف عرفت أنت؟

(غازي): لأني كنت أحد الحاضرين لذلك الاجتماع السري قبل أن يتم ترقيتي كمدير للقسم في هذه المدينة

(إياد): لا أصدق أن السيد (نادر) يمكنه أن يخالف القانون بهذا الشكل..

نهض (غازي) ووقف أمام (إياد) قائ قائلاً:

«لا تسئ الفهم أيها المحقق.. فكر بها قليلاً.. (نادر) صديقي منذ زمن طويل وهو لم يخالف القانون أبداً في حياته قط لكن المجرم شخص لا يستطيع تقديمه للعدالة لقد آثر أن ينسب لنفسه عجزه عن حل القضية على أن يفعل ذلك.. أنا أعرف (نادر) جيداً وأفهم طريقة تفكيره وهي مشابهة لطريقتك لذا أحاول أن أنصحك قبل أن تصبح مثله.. هذا هو الهوس الذي دمر حياته وحياة أسرته وأحاول تحذيرك منه..»

(إياد): لي الشرف أن أكون مثله.. أم تريد أن أكون كبقية المحققين هنا؟



(غازي) متجاهلاً عبارة (إياد) المستفزة: أنا أصبحت رئيساً لهذه الدائرة لأني أعرف التفريق بين ما هو مهم وما هو أهم وهذه مهارة لم تتقنها بعد أيها المحقق.. سوف أرفع خطاب إنهاء تكليفك مع توصية بتكريمك للوزارة وأتمنى عدم رؤيتك هنا غداً

نهض (إياد) من مكانه وقال: إن كنت تريد تكريمي فامنحني حق حل القضايا الثاني في المجموعة الثانية على الأقل

(غازي): لا تشغل بالك بها.. بناءً على توصياتك سوف نعيد فتحها مجدداً وأعدك بأننا..

(إياد) مقاطعاً: تعرف أني لن أرحل وأنا أعرف خيوطاً لحلها فلا تفتعل مشكلة كلانا في غنىً عنها..

صمت (غازي) لثوانٍ ثم قال: بشرط.. أن تنسى القضايا العشر الأخرى في المجموعة الثالثة

(إياد): لا يمكن أن أعدك بذلك لكني أعدك بأني لن أذكرها لك مجدّداً

(غازي): سأكتفي بذلك.. سأمهلك أسبوعاً واحداً للانتهاء منها

(إياد): أحتاج خمسة أيام فقط.. لكني أريد (ياسر) أن يكون معي محققاً.. يمكنك (غازي) باستغراب: (ياسر)؟.. لكنه ليس الاستعانة بمحققين من القسم أكثر كفاءة منه

(إياد): (ياسر) يملك شيئاً لا يملكه أغلب محققيك

(غازي) بشيء من التجهم: عن ماذا تتحدث؟



(إياد): الإخلاص..

(غازي): سأتجاهل كلامك المهين هذا وسأمنحك ما تريد.. سوف أوكل الأرشيف لأحد الموظفين منذ اليوم ولمدة خمسة أيام فقط!

(إياد) بتهكم: كنت أظنها أسبوعاً..

(غازي): خمسة أيامٍ يا محقق (إياد).. هذا ما ستحصل عليه فقط (إياد) باسماً: وأنا ممتن يا عميد (غازي)

(غازي) مديراً ظهره متوجهاً لباب الخروج: بالتوفيق في هوسك

خرج (غازي) تاركاً المحقق (إياد) غارقاً في أفكاره حتى دخل عليه (ياسر) وقال:

«هل أحضر القهوة؟»

رفع (إياد) رأسه وقال: لا.. أحتاج سيارة

(ياسر) بالرغم من استغرابه: حاضر ستكون جاهزة ومهيأة خلال عشر دقائق

(إياد): واستعد أنت كذلك لمرافقتي

(ياسر): أنا..؟

(إياد): نعم أنت

(ياسر): لكني لا أستطيع ترك الأرشيف بدون..



(إياد) مقاطعاً: لقد اهتممت بهذا الموضوع لا تقلق

(ياسر): حسناً أمرك





القضية الوحيدة



ركب (إياد) سيارة الدورية بجانب (ياسر) الذي استلم القيادة ورمى بالملفات الثمانية في المقعد الخلفي وأشار أمامه قائلاً:

«هيا تحرك بنا..»

(ياسر) وهو ممسك بدفة القيادة: إلى أين؟

(إياد): لنحل القضية الأولى.. ألم تكن معي حينها تناقشنا عنها ؟

(ياسر) بشيء من التردد: لا أريد أن تظن أني غبي لكن هناك ثماني قضايا وأنا لا أعرف أيًّا منها تقصد

(إياد) محدقاً بـ (ياسر) بحدة قائلاً: ألا تستطيع قراءة الأفكار؟



(ياسر) وتوتره يزداد والعرق يتصبب من جبينه: لا للأسف . . أنا لست كمحققي العاصمة

ضحك (إياد) بقوة فتبسم (ياسر) بارتباك..

(إياد): وهو لا يزال يضحك ويشير له بالتحرك: أريدك أن تأخذنا لمقهىً قريب من هنا..

(ياسر) مديراً المفاتيح مشغلاً المحرك: حاضر

بعد وصولها للموقع جلس الاثنان في مقهىً بسيط تديره سيدة كبيرة في السن مع ابنتها وطلبا كوبين من الشاي وحينها وضعت الكوبين أمامها قالت السيدة العجوز:

«هل تحتاجان شيئاً آخر؟»

(ياسر) باساً: لا، شكراً يا سيدتي

(السيدة العجوز) ملتفتة نحو (إياد): وأنت يا بني هل تحتاج إلى شيء؟

(إياد) مقلباً في قائمة الطعام: هل تقدمون الحلويات هنا؟

(السيدة العجوز) باسمة: لا للأسف.. فقط المشروبات

(إياد): منذ أن فتح المحل أو أن هذا شيء حدث من وقت قريب ؟

(السيدة العجوز) مستغربة من سؤاله: نحن لم نقدم أي نوع من الحلويات منذ أن افتتحنا هذا المكان قبل عشرين عاماً

(إياد): غريبة..



(ياسر): ما الغريب في الأمر؟

(إياد): لقد نصحني صديق لي بتجربة «كعكة الليمون» هنا وقال بأنها الأفضل في المدينة

(السيدة العجوز) باسمة: لا بد أنك أخطأت في المقهى

(إياد): نعم يبدو ذلك.. أعتذر عن سوء الفهم

(السيدة العجوز): لا داعي للاعتذار.. ناديا علي أو على ابنتي إذا احتجتها لشيء

(إياد) باسماً: سنفعل بالتأكيد

رحلت السيدة تاركة (إياد) يرفع كوبه ويقربه من فمه سارحاً أمامه..

(ياسر): لم أكن أعرف أنك تحب الشاي

(إياد) وهو يأخذ رشفة: ومن قال لك بأني أحبه؟

(ياسر) بنبرة مستغربة: لكنك للتو طلبت..

(إياد) مقاطعاً وهو يضع الكوب على الطاولة ويفتح ملفّاً أنزله معه من السيارة: دعك من هذا الآن وركز معي

(ياسر) معتدلاً في جلسته: حاضر

(إياد) خلال تصفحه الملف: هذه القضية مثل الأخريات.. حلها سهل لكننا نحتاج للحديث مع شهود أكثر



(ياسر): حسناً موافق

(إياد): أنا لم أكن أستشيرك.. اسمع ولا تقاطع

(ياسر): حاضر

(إياد) ممعناً النظر في الملف: لقد أخبرت (غازي) بأني أحتاج أسبوعاً لحلها

(ياسر): وقد منحك خمسة أيام فقط

(إياد) مقلباً الصفحات: وكل ما أحتاجه هو يومان

(إياد): إذاً لماذا

وجه (إياد) نظرة حادة لـ (ياسر)..

(ياسر) واضعاً كفه على فمه: سأصمت..

(إياد) معيداً نظره للملف: سنحل القضايا وسأكتب التقارير الخاصة بكل ملف وستبقى معك حتى أطلب منك تقديمها لـ (غازي).. فهمت؟

هز (ياسر) رأسه بالموافق وكفه لا يزال على فمه..

(إياد) باسماً: اسأل

(ياسر) مبعداً كفه عن فمه قائلاً: لم لا تريد مني تسليمها حالما تنتهي منها؟



(إياد): كي أحظى بأيامٍ إضافية ولا تسألني لماذا.. سأخبرك حينها نحل القضايا الثاني

(ياسر): ومتى سنبدأ؟

(إياد) وهو يشرب كوب الشاي دفعة واحدة: لقد بدأنا بالفعل وقد حلت القضية الأولى

(ياسر): كيف؟.. نحن لم نفعل شيئاً حتى الآن!

(إياد): القضية الأولى كانت عن اختفاء طفل صغير قبل عام في هذا المقهى حينها كان بصحبة أبويه.. هل قرأ أيٌّ منكم في الدائرة أقوال الشهود؟

(ياسر): لا شك أن المحققين فعلوا.. لمَ تسأل؟

(إياد): هل قرأتها أنت؟

(ياسر): نعم حينما كنت معك نراجع ملف القضية بالمكتب

(إياد): ولم يلفت نظرك شيء؟

(ياسر) يهز رأسه بالنفي: لا أبداً..

فتح (إياد) الملف على صفحة معينة ووضعها أمام (ياسر) وحدد بأصبعه أحد الأسطر وقال:

«اقرأ هذه الجزئية..»

(ياسر) ممسكاً بالملف: ما هذا؟



(إياد): جزء من إفادة أم الطفل.. اقرأها بصوت مسموع لي ولك فقط

(ياسر): حاضر.. «كان (رامي) يلعب أمامنا طيلة الوقت بالكرة ولم يغب عن أعيننا للحظة إلا حينها أراد الذهاب للحام وأخذته السيدة العجوز التي تدير المحل لدورة المياه وأعادته لنا على الفور»

رفع (ياسر) رأسه وقال: وما المشكلة؟

(إياد) مشعلاً سيجارة: أكمل..

(ياسر) مكملاً قراءة الإفادة: «أمضينا بعدها نصف ساعة قبل أن نقرر الرحيل قضاها (رامي) في تناول «الكعكة بالليمون» التي قدمتها السيدة اللطيفة له على حساب المحل»

رفع (ياسر) رأسه مجدداً وقال بخليط من الانبهار والعجب: لكنها قالت للتو..

(إياد) نافخاً سحابة من الدخان للأعلى: لا تستعجل.. أكمل..

أكمل (ياسر) القراءة وقال: «حتى أنها رفضت أخذ الحساب من أبي (رامي) وأصرت أن حسابنا مدفوع وهدية من المحل وعادت للكاشير فلحقنا بها في محاولة لإقناعها بأخذ الحساب لكنها رفضت وحينها عدنا للطاولة لم نجد (رامي) ولم يكن هناك أحد بالمقهى وقتها ليخبرنا أين ذهب»

وضع (ياسر) الملف على الطاولة بفم مفتوح: ما معنى هذا؟

(إياد) مشيراً للمرأة العجوز وهي تباشر الزبائن: يعني أن هذه السيدة هي المجرم.. بالتعاون ابنتها غالباً لكننا لن نستبق الأحداث قبل التحقيق معها ومواجهتها بالأدلة والبراهين



(ياسر): تلك السيدة اللطيفة؟

(إياد) مطفئاً السيجارة ناهضاً من مكانه: لم تعد لطيفة.. هيا بنا لنرحل من هنا

(ياسر): نرحل؟!.. ألن نقبض علـ..

(إياد) رافعاً كفه بوجه (ياسر): اهدأ ولا تثر جلبة.. اذهب وادفع الحساب بكل هدوء وسأنتظرك بالسيارة

بعد أقل من خمس دقائق ركب (ياسر) السيارة بوجه مستاء ولم يدر المحرك..

(إياد) ببرود: ما بك..؟

(ياسر) ملتفتاً إليه: كيف نترك تلك المجرمة طليقة دون أن نقبض عليها؟!

(إياد): هي طليقة لأكثر من سنة والانتظار بضعة أيام لجمع أدلة أكثر أفضل من كشف الحقيقة والمخاطرة بأن يكون هناك ثغرات في قضيتها يمكن لمحامٍ ماهر استغلالها وتبرئتها

(ياسر): ماذا سنفعل إذاً؟

(إياد): سأكتب التقرير وأحدد أنها الفاعل وأقدم ملاحظاتي الأخرى عليها وعلى ابنتها والبقية متروكة للمحققين عندكم بالرغم من تواضع قدراتهم إلا أن قضية كهذه بعد ما قمت بتفكيكها بهذا الشكل لن تكون صعبة الإثبات عليهم ولو أفسدوها فسيكون ذلك بسبب إهمالهم..



(ياسر) بقلق: هل تعتقد أن الطفل أصابه مكروه؟

(إياد): هل حقّاً تريد رأيي؟

(ياسر) وهو يدير السيارة: لا.. دعني في المجهول

(إياد): قرار حكيم..

أمضى الاثنان بقية اليوم واليوم التالي في حل جميع الأخرى وانتهيا من عملها في وقت متأخر من ليل ذلك اليوم القضايا السبع وحينها طلب (إياد) من (ياسر) إيصاله للمنزل وبعد نزوله دنا من النافذة وقال له:

«لقد أبليت بلاءً حسناً..»

(ياسر) بوجه مرهق ومكتئب: شكراً..

(إياد): ما بك؟

(ياسر): لا شيء.. ء.. فقط مستاء

(إياد): من ماذا؟

(ياسر) زافراً بنبرة مهمومة: من أن تلك القضايا كانت سهلة الحل وبسبب إهمال المحققين راح ضحيتها جميع المفقودين.. نحن لم نتمكن من إنقاذ أحد

(إياد): لكننا حللنا القضايا ومنحنا أهلهم وأصدقاءهم نو نوعاً من السلام

(ياسر): لكن ذلك لا يكفي.. كان من الممكن إنقاذهم لو اجتهدوا قليلاً



(إياد): اسمع يا (ياسر).. ما تراه سهلاً هو يبدو لك كذلك فقط لأنك عرفت الإجابة فلا تظلم زملاءك الذين وبلا شك بذلوا كل ما يستطيعون لحل القضايا.. والدليل على ذلك أنت..

(ياسر): أنا؟..

(إياد): نعم.. فأنت مثلهم لم تستطع كشف الحقيقة بالرغم من أنك بذلت المجهود نفسه وأكثر

(ياسر): لكن أنا لست ذكيّاً مثلهم ولست محققاً من الأساس

(إياد): أنت أذكى مما تظن.. قد لا ترى ذلك الآن لكني أراه بكل وضوح.. احصل على قسطٍ وافرٍ من النوم فأمامنا يوم طويل غداً حينما نقدم التقارير لـ (غازي) ونشرح له تفاصيل كل قضية على حدة..

(ياسر): ألم تقل بأننا لن نقدمها إلا بعد انتهاء المهلة المحددة؟

(إياد): سوف نقدم نصفها فقط ونؤجل البقية لوقت لاحق

(ياسر): وبعدها سنبدأ بالقضايا العشر الأخرى؟ (إياد) بنبرة غير واثقة: لا أخفي عليك أنها لا تزال تسبب لي حيرة ولم أجد أي شيء يجعلني أشعر بأني سأحلها في المهلة البسيطة الممنوحة لي

(ياسر): ولمَ أنت مستعجل في حلها ؟.. خذ وقتك

(إياد) باسماً: ألم تقل قبل قليل إن تأخر المحققين في حل القضايا السابقة كان سبب فقدان الضحايا لحياتهم؟

(ياسر) منزلاً رأسه: صحيح.. أنا أحمق ولن أتعلم أبداً



(إياد): لا تقسُ على نفسك ففي الغالب جميعهم لقوا حتفهم مثل البقية لكن هذا ليس هدفي لحل القضايا

(ياسر): ما الهدف إذاً إن لم يكن لإنقاذ الأبرياء

(إياد): ألا يبقى مجرم طليق يظن أنه نفذ من يد العدالة..

(ياسر): فهمت..

(إياد): والآن يجب أن تعود للمنزل وتنام على الفور كي نستعد لاجتماعنا غداً مع السيد (غازي).. تصبح على خير..

(ياسر): تصبح على خير..

حرك (ياسر) السيارة مبتعداً عن مدخل البناية السكنية تاركاً (إياد) يتوجه لشقته في الطابق العاشر..

بعد دخوله وخلع جزء من ملابسه جلس (إياد) على الأريكة في غرفة المعيشة واضعاً هاتفه النقال أمامه وكأنه يصارع قرار إجراء مكالمة ما لكنه في نهاية الأمر استسلم وأمسك بالهاتف واتصل.. على (نادر)..

لم يجب (نادر) مباشرة، بل بعد فترة ومن الواضح من صوته أنه كان نائماً فشعر (إياد) بالحرج واعتذر منه وقال: «سأتصل بك في وقت لاحق.. المعذرة..»

(نادر): لا لا.. لقد استيقظت

(إياد): أنا حقّاً أعتذر.. لم أستوعب أن الوقت متأخر إلا بعد ما أجريت الاتصال



(نادر) لا تعتذر يا (إياد).. أعرف أنك لم تتصل إلا لشيء مهم يمنعك من النوم أليس كذلك؟

(إياد): صحيح..

(نادر): هيا أخبرني.. ما الذي يشغل بالك ؟.. أنا منصت لك (إياد): لا أريد أن أطيل عليك لكن

(نادر) مقاطعاً بنبرة ممازحة: أطل عليّ.. فأنا متجه الآن للمطبخ لأعد بعض القهوة السوداء.. فلا نية لي بالعودة للنوم ويجدر بك منحي شيئًا يستحق حرماني من ليلة هادئة.. لنبدأ بأخبارك في مهمتك.. هل يعاملك (غازي) بشكل جيد أم أنه يتصرف معك بفظاظة؟.. هذا الرجل يمكن أن يكون مزعجاً أحياناً

(إياد): لا أبداً العميد (غازي) كان متعاوناً جدّاً ومنحني كل ما أريد

(نادر): وهل منحته أنت ما يريد؟

(إياد): أعتقد أنه راضٍ عما قدمته له حتى الآن

(نادر) حتى الآن؟.. كم قضية قدم لك وكم حللت منها؟

حكى (إياد) كل التفاصيل التي حدثت معه منذ يوم وصوله وحتى ترجله من سيارة (ياسر) قبل ساعة وحينما انتهى قال له (نادر): لم تخيب ثقتي بك كالعادة.. لكن (غازي) محق..

(إياد): محق في ماذا؟



(نادر): ليس من الضروري أن تحل جميع القضايا خصوصاً تلك العشر التي تحدثت عنها

(إياد): هل كنت أنت لتفعل ذلك لو كنت مكاني؟

صمت (نادر) ولم يجب..

(إياد): أين ذهبت؟

(نادر): أنا هنا.. أبحث عن سجائري فقط.. فالقهوة بلا سجائر مثل المعبد بلا شعائر..

(إياد): سأنتظر إجابتك..

صوت ولاعة تشتعل.. ثوانٍ من الصمت تبعها صوت (نادر) زافراً وهو يقول:

«أنت تعرف الإجابة على ذلك.. »

(إياد): لكنْ هناك سؤال آخر لا أعرف إجابته..

(نادر): وما هو..؟

لم يتمكن (إياد) من طرح السؤال الذي كان يدور في خلده بشكل مباشر واكتفى بقول: هل هناك تطور في القضية ؟

(نادر): تقصد قضية «البناية» التي تؤرقك منذ أشهر؟

(إياد): وهل هناك غيرها؟



(نادر): نعم على ما يبدو

(إياد): لا أبداً أنا مجرد..

(نادر) مقاطعاً: انتهِ من قضاياك وعد للعاصمة ولا تشغل بالك بأمور جانبية

(إياد): تقصد القضايا العشر؟

(نادر): تلك القضايا أعرف جيداً أنك لن تعود قبل أن تحلها.. كنت أتحدث عن قضية أخرى.. لا تخصك ولم توكل إليك وانتهت منذ زمن طويل.. اخلد للنوم واحصل على قسط من الراحة فأمامك يوم طويل غداً

(إياد): حاضر يا سيدي.. تصبح على خير

(نادر): تصبح أنت على خير فأنا سأخرج

(إياد): إلى أين في هذه الساعة؟

(نادر): سأعرج على «الهيئة».. هناك بعض الأمور التي تحتاج إلى الإنجاز

(إياد) باسماً قبل أن يغلق الخط: بلغ سلامي لـ (خالد) والشيخ (عادل)

(نادر): سأفعل.. مع السلامة

أغلق (نادر) الخط لكن (إياد) لم يُنزل هاتفه وأجرى اتصالاً آخر..

بأحد أساتذته السابقين في تخصص القانون الجنائي يدعى (د. عبد الهادي) وهو من زملاء (نادر) حينها كانا يدرسان في الجامعة نفسها وهو



من أوصى بتعيين (إياد) في شرطة العاصمة ويعتبره أباه الروحي وحينها أجابه قال:

«(إياد) يتصل بي في ساعة متأخرة من الليل.. لا بد وأن الأمر جلل.. »

(إياد) باسماً: أهلا يا دكتور كيف حالك؟

(د. عبد الهادي): بخير.. كيف حالك أنت؟

(إياد): الحمد لله.. كنت أريد منك استشارة ثم بعض المعلومات عن شخص

(د. عبد الهادي): شخص؟

(إياد): نعم.. شخص يهمني ن أمره

(د. عبد الهادي): (نادر)..

(إياد): كيف عرفت؟

(د. عبد الهادي): الإجابة عن هذا السؤال ستكون أطول من الإجابة على سؤالك الأصلي

(إياد): وهل ستجيبني؟

(د. عبد الهادي): بالحكم على وقت اتصالك فمن الواضح أن الإجابة تهمك وملحة ولن ترتاح حتى تسمعها وفي الحقيقة لدي تصور عن هذا السؤال من نبرة صوتك.. لنبدأ بـ (نادر) ثم لتنتقل للاستشارات التي قلت عنها



(إياد): سؤالي عن القضية التي استلمها بعد تقاعده وتمكن من حلها لكنه لم يقدم الفاعل للعدالة..

(د. عبد الهادي): وما هو السؤال؟

(إياد): أريد أن أعرف كل التفاصيل عن هذه القضية

(د. عبد الهادي): ما زلت لم أسمع سؤالاً..

(إياد) باسماً: حسناً يا دكتور.. هل يمكنك أن تخبرني عن تفاصيل القضية التي تولاها (نادر) بعد تقاعده؟

(د. عبد الهادي): سأجيبك بعد ما تجيبني أنت على سؤال (إياد): تفضل..

(د. عبد الهادي): هل ستثير الموضوع معه بعد ما أخبرك؟

(إياد): أعدك بأن لا أفعل.. أريد الإجابة لشيء يخصني أنا

(د. عبد الهادي): وأنا أثق بك.. حسناً اسمع..





الطرد الأصفر



المحقق (نادر) كان من أميز المحققين في قسم شرطة المدينة وأبرزهم وقد تتلمذ وتدرب على يده الكثير من المحققين الكبار الذين أشادوا به في كل مناسبة يجدونها ويرجعون الفضل له في كل إنجاز يحققه أحدهم في حياته المهنية.

عُرف عنه أنه محقق لم يفشل في كشف أي جريمة توضع على مكتبه مهما بلغت صعوبتها وقلة الدلائل التي تقود لحلها. عقله مستنيرٌ وشديد الملاحظة وبالرغم من تفوقه في الدراسة وإمكانية اختياره أي مجال مهني يريد إلا أنه فضل العمل في الشرطة بسبب شغفه الذي ورثه عن أبيه والذي كان محققاً سابقاً في القسم نفسه.



ابنته الوحيدة فخورٌ بأبيها جدّاً وتتباهى به في كل مناسبة ومع تقدمه في العمر واقتراب يوم تقاعده من العمل كمحقق رأت القلق في عينيه لقرب حلول ذلك اليوم فتجاهلته إلى حينه.

حصلت ابنة (نادر) على منحة دراسية خارج المدينة التي كانوا يقطنون بها وكانت مترددة في ترك أبيها الذي أقام معها بعد وفاة والدتها قبل سنوات. لكنه أقنعها بقبولها وطمأنها بأن عمله سيأخذ جل اهتمامه ووقته ولن يشعر بالوحدة لغيابها. حل اليوم الذي ستسافر فيه ابنة (نادر) وكان وداعها مريراً مختلطاً بالدموع.

أوصلها أبوها للمطار ولم يفارقها حتى أقلعت الطائرة.

مضت الأيام وكانت ابنة (نادر) تتصل بأبيها يوميًّا لتسأل عنه وعن أحواله وتطمئن عليه لتجده يوماً بعد يوم قد تكيّف على العيش وحده بالرغم من شوقه إليها والذي يعبر عنه من حين لآخر كان يناقشها ويحكي لها عبر مكالماتها الهاتفية عن آخر القضايا التي يتولاها ويحلها في وقت قياسي وكانت هي بدورها تحكي له عن حياتها الجامعية الجديدة وسعادتها في دراسة تخصصها الذي حلمت به وهو الطب الجراحي. لكن تلك السعادة لا تقارن بسعادتها وهي تستمع لأبيها وهو يحكي بشغف لها عن إنجازاته المستمرة.

بعد مرور بضعة أشهر واقتراب موعد الإجازة الصيفية للجامعات تحرقت ابنة (نادر) شوقاً للعودة لديارها وقضاء عطلتها مع أبيها الذي انقطعت اتصالاتها معه فترة اختباراتها وقررت عدم الاتصال به ومفاجأته بحضورها شخصيّاً للمنزل لذا لم تبلغه بتاريخ وصولها.



استقلت ابنة (نادر) سيارة للأجرة فور وصولها للمطار وتوجهت مباشرةً للمنزل كي تعد لأبيها مفاجأة جميلة لعلمها سلفاً أن موعد وصولها سيكون في الفترة التي يكون فيها موجوداً في مقر عمله.

دخلت المنزل وعلى الفور صدمت برائحة عفنة قوية أجبرتها على وضع يدها على أنفها من شدة حدتها وبدأت بالتجول في البيت بحثاً عن مصدر تلك الرائحة فوجدت المكان مليئاً بالنفايات وبقايا الطعام التي كان أغلبها من المطاعم السريعة. فتحت النوافذ وبدأت في تنظيف الغرف حتى سمعت صوت أبيها من الطابق العلوي يصرخ ويقول: «من هنا ؟!»

تركت ابنته ما كان بيدها وصعدت مسرعة للطابق العلوي لتجد أباها في فراشه وقد نمت لحيته وشاربه وشعره بشكل كثيف وكان يبدو في حالة يرثى لها ورائحته تفوح وكأنه لم يستحم لاشهر.

نظرت ابنته له باستغراب وقالت:

«ماذا حدث لك يا أبي لمَ أنت بهذه الحالة..؟»

ابتسم (نادر) وأشعل سيجارة من علبة على المنضدة بجانب سريره وقال:

«لقد تقاعدت عن العمل أخيراً..»

جلست ابنته بجانبه ووضعت رأسها على كتف أبيها وقالت:

«وهل هذا سبب لينتهي بك الحال هكذا؟»

(نادر): «العمل كان حياتي..»



(ابنته): لكن يا أبي لا يمكنك العيش هكذا يجب أن تجد هدفاً في الحياة وإلا فستموت بحسرتك

(نادر): لا تقلقي بشأني.. لِمَ لم تخبريني بأنكِ قادمة؟

(ابنته) ماسحة دمعة خرجت من عينها قهراً على حال أبيها:

أحببت أن أفاجئك لكنك سبقتني عندما رأيتك هكذا..

ضحك (نادر) وعانق ابنته قائلاً: لا تقلقي فأنا أمارس حريتي وسعيد بها!

(ابنته) باسمة من وراء دموعها: يجب أن تستحم يا أبي

مضت أيام الإجازة بسرعة وكانت ابنة (نادر) تحاول إخراج أبيها من تلك القوقعة التي حبس نفسه فيها دون جدوى فقد رأت النور ينطفئ يوماً بعد يوم من عينيه اللتين كانتا تشعان بالحياة والحيوية وراقبت البهجة تنسل وتتسرب منه تدريجيًّا وهي تقف عاجزة عن فعل أي شيء لمساعدته. في يوم رحيلها عانقته بقوة وقالت:

«عدني يا أبي بأنك ستعود كالسابق.. عدني..»

(نادر) يشد عناقها مبتسماً بحزن: أعدكِ..

(ابنته) حاملة حقائبها: ألن توصلني للمطار؟

(نادر) وهو مستاء: سامحيني يا ابنتي فأنا متعب اليوم

رحلت ابنته ودموعها تنهمر وسارت نحو سيارة الأجرة التي استدعاها أبوها لتقلها للمطار. بعد رحيلها بقي (نادر) على حاله ولم يتغيّر شيء



وحتى محاولات زملائه السابقين في الترفيه عنه باءت بالفشل فقد كان منطويًا على نفسه ويرفض الخروج من المنزل إلا لاستلام الجرائد اليومية من عتبة باب المنزل.

خرج (نادر) ذات يوم يوم لأخذ الجرائد التي تركها تتراكم لعدة أيام ليقوم بقراءتها دفعة واحدة ليجد طرداً فوق كومة الجرائد على هيئة صندوق صغير مغلف بتغليف ورقي أصفر مربوط بشريطة بيضاء. رفع (نادر) الطرد وقام بهزه بجانب أذنه فسمع اهتزاز شيء صغير. أخذ الطرد ودخل للمنزل وجلس وأشعل سيجارة تدلت من فمه خلال فتحه للطرد الأصفر.

سقطت السيجارة من فمه وأحرقت جزءاً من ملابسه بعد ما شاهد محتوى الطرد فقام على عجالة ليدوس عليها بقدمه الحافية وعينه لا تزال على محتوى الصندوق الصغير الذي سقط على الأرض وكان عبارة عن إصبع لقدم بشرية مفصول حديثاً. لاحظ (نادر) أن الطرد يحتوي على شيء آخر.. ورقة.. ورقة مطبوعة وليست مكتوبة بخط اليد وكانت تقول:

«هذا جزء منها.. وسيصلك كل يوم جزء آخر حتى تستطيع إيجادي..»

فزع (نادر) من الرسالة أكثر من منظر الأصبع المفصول وهرع نحو هاتفه النقال واتصل بابنته التي أجابته بسعادة ظنّاً منها أن أباها عاد لحالته الطبيعية لأنه لم يتواصل معها منذ رحيلها كما كان يفعل في السابق لكنها فوجئت بسؤاله لها بقلق وعلى عجالة:

«هل أنت بخير؟!.. هل أنت بخير؟!»

(ابنته) باستغراب: نعم يا أبي.. ما بك؟



(نادر) زافراً بارتياح: الحمد لله.. لا عليكِ.. لا تقلقي سأتحدث معكِ لاحقاً!

(ابنته): لكن يا أبي..

أغلق (نادر) الهاتف بسرعة والتقط الطرد ومحتواه وتوجه لقسم الشرطة الذي عمل به سابقاً وحكى لزملائه ما حدث فوعدوه لأنهم سيبحثون في الأمر وسيعينون أحداً ليراقب منزله في حال أن صاحب الرسالة نفذ تهديده وأرسل قطعة أخرى كما ادعى. لم يرحل (نادر) مباشرة وبقي في القسم لفترة ليسدي بعض النصائح للمحقق الذي أوكلت له القضية والذي كان سعيداً بهذه المساعدة لأن القضية كانت مبهمة وخالية من الدلائل الواضحة. عاد (نادر) متأخراً ذلك اليوم لأن أصحابه لم يتركوه إلا بعد قضاء سهرة عشاء معهم تخللها الكثير من الحديث عن ذكرياتهم الجميلة السابقة وعندما دخل منزله وجد ابنته في انتظاره وكان من الوضح أنها كانت تبكي فقال لها بخليط من الاستغراب والقلق:

«ما الذي تفعلينه هنا؟»

أجابته وهي غارقة في الدموع وقالت: كيف تغلق الخط في هكذا ولا تجيب على اتصالاتي بعدها؟!.. هل تعرف كم وجهي قلقت عليك؟!

تفقد (نادر) جيبه بحثاً عن هاتفه فاكتشف أنه نسيه في المنزل وعندما لمحه على الطاولة أمسكه وفتحه ليرى هذه العبارة: «٤٦ مكالمة فائتة.. »

وجه (نادر) نظره لابنته التي أجهشت بالبكاء بحرقة فما كان من إلا أن عانقها وهو يعتذر منها. باتت ابنته تلك الليلة معه بعد ما شرحت له أنها



لن تعود للجامعة إلا بعد أن تتحقق من أنه بخير وبالرغم من محاولاته لإقناعها بالعدول عن قرارها إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل.

في صباح اليوم التالي استيقظ (نادر) وعلى غير عادته منذ أن تقاعد أخذ حماماً طويلاً وحلق ذقنه وشاربه وبدل ملابسه استعداداً للخروج. مر بغرفة ابنته ليجدها نائمة فآثر ألا يوقظها وتركها لترتاح ثم نزل للطابق السفلي متوجهاً للباب وقبل خروجه توقف عندما رأى طرداً مشابهاً للطرد الذي استلمه بالأمس يتوسط غرفة المعيشة. توجه (نادر) للنافذة وعينه على الطرد الأصفر ولم يرفعها عنه إلا عندما أزاح ستارة النافذة ليتثبت من وجود الشرطي المتخفي الذي عُين لمراقبة المنزل ليجده على حاله مستيقظاً ويراقب المكان.

تقدم (نادر) بخطوات بطيئة نحو الطرد الأصفر حتى وصل إليه وفتحه وشاهد محتواه. حدق بالمحتوى لدقائق ثم مد يده ليرفع الأصبع المفصول داخل الطرد والذي كانت أسفل منه رسالة ملطخة بنقاط من الدماء تقول:

«هذا أصبعها الآخر.. وسيصلك كل يوم جزء منها حتى تستطيع إيجادي..»

جلس (نادر) على الأريكة يفكر بعمق لعدة دقائق ثم نهض بعدها وتوجه لقسم الشرطة بعد ما وجّه ابنته بعدم فتح الباب لأي أحد حتى يعود..

بقي (نادر) في القسم يناقش زملاءه والمحقق المسؤول عن القضية في موضوع تلك الطرود وعن استغرابه من وصول الطرد الثاني لوسط منزله بالرغم من وجود حراسة على الباب فقال أحدهم:

«لعله استخدم الباب الخلفي للمنزل..»



(نادر): لا أملك باباً خلفيًّا ولا يوجد أي أثر لاقتحام المنزل..

صمت الحاضرون لفترة ثم تحدث رئيس القسم وقال:

«كل ما نعرفه عن القضية أن الضحية امرأة من صيغة الرسالة.. عدا ذلك نحن في عتمة المجهول..»

(نادر): لو بحثنا أكثر فسنجد دلائل أخرى

أشار رئيس القسم لـ (نادر) وقال:

«ما رأيك أن تستلم أنت القضية يا (نادر)؟»

(نادر): لا أريد التدخل في شؤون القسم خاصة وأني متقاعد الآن ثم إنه من غير اللائق أن آخذ قضية من زميلي وهو لم ينهها بعد

رد عليه المحقق المسؤول عن القضية مبتسماً:

«تعرف جيداً أني لن أتمكن من حلها.. أرجوك خذها من على عاتقي كي لا تكون نقطة سوداء في تاريخي.. ثم من الواضح أن الفاعل يستهدفك أنت وهذا أولى بأن تتولى أنت القضية..»

ابتسم (نادر) وقال: موافق.. أمهلوني وقتاً وسوف أتمكن من حل هذه القضية

(رئيس القسم): وكما جرت العادة يمكنك استخدام كافة المرافق هنا وطلب مساعدتنا في أي وقت

(نادر) وقد اتسعت ابتسامته: شكراً.. لن أخيب ظنكم



عاد (نادر) للمنزل منتشياً من السعادة بالرغم من إحساسه الداخلي بالذنب لأن هناك شخصًا يعاني بسبب هذه الجريمة لكنه لم يستطع إخفاء بهجته بالعودة للعمل ولو كان ذلك لفترة مؤقتة.

دخل (نادر) البيت في المساء وأخبر ابنته با حدث وبمدى السعادة التي يشعر بها فقالت له وهي تشاركه الفرح:

«سعيدة جدّاً لك يا أبي! سعيدة لأنك استعدت حياتك!»

(نادر): لكني أحس بالذنب لتلك السعادة لأن هناك من يعاني بسبب هذا المعتوه الذي يقطع أجزاء منه يوماً بعد يوم وقد يفقد حياته لو تأخرت في حل القضية..

(ابنته) واضعة كفها على كتف أبيها: لا تقل هذا يا أبي فهي لم تفقد سوى أصبعين من أقدامها ولا أظنها ماتت لأن النزف لن يكون كافياً لحدوث وفاة.. ما زال أمامك متسع من الوقت لإنقاذها

أنزل (نادر) رأسه وقال بنبرة خالطها الإحباط والخيبة:

«وكيف علمتِ بمحتوى الطرد فأنا لم أخبركِ بذلك؟.. وكيف علمتِ أنها امرأة من الأساس؟»

(ابنته) باسمة بارتباك: لقد أخبرتني.. هل نسيت؟

تغير وجه (نادر) للحزن والحسرة عندما لم يجد ردّاً مقنعاً من ابنته لأنه أدرك وقتها أنها هي الفاعل واستدرك في عقله أنها قامت بذلك لأجله ولإخراجه من الكآبة التي عاشها وأن الطرد الثاني لم يأتِ من خارج المنزل،



بل كان منها ومع تزاحم أفكاره وتوافقها مع نظرية أن ابنته هي الفاعل خرج عن صمت تفكيره وقال بهدوء: من هي؟

(ابنته) مبتسمة: عن ماذا تتحدث يا أبي؟

(نادر) صارخاً فيها بغضب: من هي تلك المسكينة التي قطعتِ أصبعيها لتنفيذ خطتك البائسة؟!

(ابنته) وقد بدأت عيناها تدمعان: كيف عرفت؟

(نادر): لست غبيًّا كي لا أكشف حيلة حمقاء مثل هذه!! هيا تحدثي بسرعة كي ننقذ هذه المسكينة؟!.. هل هي محبوسة في شقتك؟!.. أم أنها جثة هامدة في مكانٍ ما؟!.. تكلمي!

(ابنته) خالعة حذاءها كاشفة عن قدمها الفاقدة لأصبعين: «لا يوجد ضحية يا أبي..»

(نادر) مبهوراً وهو يرى قدم ابنته الملفوفة: لماذا؟!.. لماذا فعلتِ بنفسكِ ذلك؟!

(ابنته) وهي تبكي: كنت أريد أن أرى ابتسامتك مرة أخرى..! صمت (نادر) لثوانٍ ثم قال: هيا بنا..

(ابنته) ماسحة بكفها على خدها: إلى أين؟

(نادر): سأعود معكِ لمدينتك وأقيم معكِ هناك

(ابنته): والقضية؟



(نادر) باسماً وهو يعانقها: ستنتهي وستحل بمجرد رحيلي معك أليس كذلك؟

(ابنته) معانقة أباها بحرارة: نعم..

أعاد (نادر) ملف القضية للشرطة وشرح لهم الأمر بالتفصيل وطلب منهم إنهاء الموضوع بحكم أنه لا يوجد جريمة سوى إزعاج بسيط للسلطات..





الطُّعم الجذاب



«فهمت.. كنت دوماً أطمح أن أكون محققاً ميدانياً لكن بعد كلامك عن (نادر) أشعر بالتردد..»

(د. عبد الهادي): لماذا؟

(إياد): العميد (غازي) كان محقّاً.. لا أريد أن أصاب بمثل هذا الهوس

(د. عبد الهادي): إتقان عملك ليس هوساً

(إياد): ما سمعته منك لا يوصف بغير ذلك..

(د. عبد الهادي): هل مررت بتجربة مماثلة من قبل؟

(إياد): ماذا تقصد؟



(د. عبد الهادي): أقصد قضية عجزت عن حلها؟.. من الواضح أنك من الأشخاص الذين لا يرضون بحدوث ذلك ويواجهون صعوبة في تقبل فكرة القضايا الباردة

صمت (إياد) لثوان ثم قال: قضية واحدة فقط.. قضية «البناية».. وأنا لم أعجز عن حلها لكنها مؤجلة إلى حين وسوف أحلها وأقبض على الفاعل يوماً ما

(د. عبد الهادي): هل يمكن أن تخبرني عنها؟

(إياد): كل ما أستطيع قوله عنها أنها لم تغلق بعد وأنا لم أفقد الأمل وحينها يحين ذلك اليوم ربا أتحدث عنها.. فلنركز على قضايانا الحالية الآن.. وهذا يقودني للاستشارة التي رغبتها منك لو سمح وقتك

(د. عبد الهادي): تفضل كلى آذان صاغية

(إياد): لدي عشر قضايا جميعها تتمحور في ظاهرها حول أشخاص مفقودين ومختلفين جدّاً من كل النواحي لكن مع البحث والتعمق انتابني شعور أن هناك عاملاً مشتركاً يربط فيها بينها

(د. عبد الهادي): هل تقصد أن الفاعل في جميع هذه القضايا هو الشخص نفسه؟

(إياد): لم أصل لهذا الاستنتاج لأني لم أجد الرابط بعد.. كل ما أعرفه ومتيقن منه هو أن هناك عاملاً مشتركاً بينها لكني لم أستطع تحديده وكنت آمل أن تساعدني في هذه النقطة..



(د. عبد الهادي): حسناً.. أرسل لي الملفات عبر البريد الإلكتروني وسوف أقوم بمراجعتها والرد عليك خلال أيام

(إياد): لا أريد أن أكون ثقيلاً عليك لكني لا أملك أياما فالوقت عندي محدود وضيق ولا يمكنني الانتظار

(د. عبد الهادي): كيف تريد أن أساعدك وأقدم المشورة لك إذاً دون الاطلاع على ملفات القضايا؟

(إياد): بالإنصات لما توصلت له أنا.. سأحدثك عن كل قضية بإيجاز وأريد رأيك فقط في تكهناتي حتى الآن

(د. عبد الهادي): حسناً تفضل كلي آذان صاغية..

(إياد): القضية الأولى هي لاختفاء مدرسة لرياض الأطفال.. أمها وحياتها روتينية جدّاً وليس لها أي حياة عزباء وتقيم مع اجتماعية ملحوظة فكل حياتها كانت مسخرة لعملها ووالدتها التي تسكن معها فقط والتي أفادتنا أن ابنتها خرجت يوم إجازتها الوحيد في الأسبوع صباحاً على غير العادة لأنها دوماً تمضيه معها ولم تخبرها سوى أنها ذاهبة لإحضار بعض اللوازم التي تحتاجها للمدرسة.

(د. عبد الهادي): والقضية الثانية؟

(إياد): عن عامل نظافة يخرج يوميّاً مع فريقه الذين يتم نقلهم بسيارة البلدية وتوزيعهم على أحياء مختلفة وفي نهاية اليوم وفي ساعة معينة يتم جمعهم في نقطة استلام محددة تتوسط تلك الأحياء وإعادتهم لمبنى البلدية ومن هناك يذهب كل واحد منهم في حال سبيله. ما حدث معه هو أنه بدأ قبل اختفائه بعدة أيام بالتأخر عن الوجود عند نقطة



الاستلام حيث كانت السيارة تنتظرهم لتعيدهم وهذا التأخر حسب إفادة زملائه تزايد في مدته يوماً بعد يوم وفي نهاية المطاف وفي أحد الأيام لم يظهر لهم ولم يروه بعدها مجدّداً.

(د. عبد الهادي): وما الغريب في هذه القضية؟

(إياد): الأعذار الغريبة التي كان يقدمها عامل النظافة لزملائه ليبرر سبب تأخره.. فمثلاً أخبرهم مرة أنه كان يبحث عن مكان أراد زيارته منذ الصغر وفي مناسبة أخرى قال لهم إنه قابل شخصاً لم يرَه من سنين وسرقه الوقت وهو يتحدث معه أو إنه وجد شيئاً وكان لا بد أن يعيده لصاحبه وغيرها من الأعذار التي قد تبدو طبيعية لكن إحساسي يقول بأنها ليست كذلك

(د. عبد الهادي): وأنت محق في هذا الإحساس.. أكمل

(إياد): القضية الثالثة لا يوجد بها تفاصيل كثيرة.. فقط طفل خطف من أمام المدرسة لكن إفادة زملائه ذلك اليوم هي ' التي جعلتني أضع ملفه ضمن هذه الملفات وهي أنه كان يومها سعيداً جدّاً ومتحمساً لنهاية اليوم الدراسي لأن أباه سوف يأتي ويقله للمنزل بدل أمه

(د. عبد الهادي): وما الغريب في هذا الأمر؟

(إياد): أبوه متوفّىً منذ خمس سنوات..

(د. عبد الهادي): فهمت.. أكمل..

(إياد): القضية الرابعة قد تكون أكثر حالة جُمع فيها أدلة ومع ذلك لم يكن هذا كافياً لحلها فهي عن رجل تلقى رسالة على هاتفه من شركة



سياحية بأنه ربح رحلة مدفوعة التكاليف وعلمت الشرطة ذلك لأنه نسي هاتفه في منزله في اليوم الذي خرج فيه ولم يعد وبعد تفقد صندوق الرسائل اكتشفوا أنه لم يتلقَّ رسالة واحدة فقط من تلك الشركة فقد تجاوز عدد الرسائل المئات ناهيك عن الاتصالات الفائتة والمردود عليها من هذا الرقم لكن ما أوصلهم لطريق مسدود هو أنه لا يوجد سجل بشركة الاتصالات عن هذا الرقم بعد المراجعة وكأن الاتصال أتى من تطبيق معين يخفي أصل ومكان المتصل بالرغم من الاستعانة بالمباحث الجنائية وتقنياتها المتقدمة لتعقب مصدر الرقم إلا أنهم فشلوا في اكتشافه واسم الشركة المذكور في الرسائل لا يوجد له سجل تجاري في أي مكان بالعالم

(د. عبد الهادي): أعتقد أني بدأت أرى صورة نمطية في هذه القضايا لكن مع ذلك أكمل كي أحسم استنتاجي.

(إياد): القضية الخامسة كانت لاختفاء رجل عجوز بعد ما قرر فجأة في أحد الأيام الخروج من شقته السكنية بالرغم من كبر ومرضه فهو حسب إفادة ابنته التي تزوره كل يوم لم يكن يستطيع حتى النهوض لفتح الباب لها بسهولة مما جعلها تأخذ نسخة من مفاتيح الشقة لتهون عليه زياراتها اليومية لكن كاميرات المراقبة أظهرته وهو يخرج من شقته ويسير نحو المصعد بصعوبة وينزل للطابق الأرضي ويخرج من العمارة حينها انتهى مجال التصوير ولم يرَه أحد بعدها واللافت في التسجيل الذي بحوزتنا أنه كان يعاني جدّاً خلال السير ومع ذلك استمر وكأنه مجبَر.

(د. عبد الهادي): هل قدمت ابنته أي معلومات إضافية؟

(إياد): لا شيء سوى أن أباها قبل اختفائه بفترة كان يعاني من بعض الكوابيس المزعجة التي تؤرقه لكنه لم يفصح لها عن فحواها وكذلك



قالت بأنه كان يتحدث عن أمها كثيراً وشعرت بأن أجله قد دنا بسبب ذلك لكنها لم تتصور أن تفقده بتلك الطريقة.. القضية السادسة..

(د. عبد الهادي) مقاطعا: لا داعي للإكمال.. أعتقد أني وصلت لاستنتاج

(إياد): حقّاً..؟

(د. عبد الهادي): لكن تذكر أن ما سأقوله هو مجرد تقييم مبني على نمط تفكيري وليس رأياً يمكن أن يحسم لك القضية لكني أظنه قد يوجهك للطريق الأمثل للبحث

(إياد): مفهوم.. وهذا ما أريده

(د. عبد الهادي): من الواضح أن الضحايا جميعهم تم استدراجهم بطريقة ما وكأنهم يلبون نداء يُلح عليهم بالتحرك تجاه هدفٍ ما.. . مثل فراشات الليل حينها تطير نحو السراج المنير.. لكن المفارقة هنا أن السراج لا يبطن الشر وإلحاق الضرر بالفراشات فهو مجرد من النوايا الموجهة بدافع.. سوء تقدير الفراشات هو من تسبب في نهايتها لكن هذا لا ينفي عامل الجذب غير المقصود.. ناهيك عن الأثر المتروك.. ففي مثال السراج الفراشات لم تختف فهي متراكمة على القاع محروقة وشاهد على أن أجسادها لم تكن هدفاً لأحد.. هذا يقودني لنظرية أخرى مع الإبقاء على الجذب في الأقرب لتفسير ما حدث المعادلة وهي نظرية «الصياد».. وهي في القضايا التي ذكرتها لي للتو..

(إياد): وحول ماذا تتمحور هذه النظرية؟

(د. عبد الهادي): في الصيد هناك نوعان من الصيادين.. من يهجم ويلاحق فريسته بشكل مباشر مستعيناً بأسلحته سواءً كانت نارية أو



جسدية.. فالإنسان يصطاد ببندقيته أو حربته والأسد بمخالبه وأنيابه والعامل المشترك بينها هو أنها مسلحان بالأدوات التي ستحقق هدفها النهائي ولا يملكان الصبر حتى تأتي الفريسة إليها بل يسعيان وراءها للنيل منها..

(إياد): والنوع الثاني..؟

(د. عبد الهادي): من ينصب الفخاخ وينتظر بهدوء وصبر فريسته أن تأتي إليه ليصطادها مثل صياد السمك أو نبتة «فينوس» التي تقتات على الحشرات.. وتكمن فعالية هذا النوع من أساليب الصيد في «الطعم» المستخدم أكثر من مهارة الصياد نفسه.. الخاطف في قضاياك العشر صياد يتبع الأسلوب الثاني ولكي تكشف هويته يجب أن تعرف نوع «الطعم» الذي يستخدمه لاستدراج ضحاياه كي يذهبوا لـ «الفخ» المنصوب لهم طواعية دون أدنى مقاومة ليبقى هو مختفيا على الأنظار حينها يُطبق عليهم.. وهناك شيء مشترك بين الضحايا وهو أسلوب الاستدراج.. جميعهم يستجيب ل «نداء» معين يقودهم بعيداً لمكان ما كي يتم خطفهم أو قتلهم.. نداء ملح يستدرجهم رغماً عنهم ولا يستطيعون مقاومته.. هذا «النداء» هو الطعم الجاذب الذي لا يستطيعون تجاهله وأجبر رجلاً مسنّاً. على النهوض من فراشه ليلاً والخروج من منزله.. اكتشف الطعم وكيف يقدم للفرائس وسيقودك ذلك لمكان الفخ وبالتالي للصياد المترقب بالقرب منه..

(إياد): لقد فتحت لي باباً جديداً من التفكير.. أشعر بأن الإجابة أمامي وفي الوقت نفسه بعيدة عني

(د. عبد الهادي): تذكر فقط أن «أكثر الفخاخ فعالية هي أبسطها..» فليس من الضروري أن تكون الإجابة معقدة فأحياناً يكون من



المعضلات توضيح الواضحات.. بالطبع تعرف العبارة الدارجة التي تقول: «فكر خارج الصندوق»؟

(إياد): نعم أعرفها..

(د. عبد الهادي): أنت تحتاج أن تفكر خارج عقلك..

(إياد): وكيف أقوم بذلك؟

(د. عبد الهادي): بأن تبحث في قضية أخرى غير القضايا العشر تشبهها في المضمون لكنها حلت أو على أقل تقدير وصلت لمرحلة متقدمة من البحث وجمع الدلائل ووصل فريق التحقيق فيها لبعض النتائج الملموسة وبالاطلاع عليها والإلمام بجوانبها سوف تخرج من الغرامة المحيطة بتركيزك وستجد نفسك تنظر لقضاياك من زاوية مختلفة قد توصلك لإجابة

(إياد): وأين أجد مثل هذه القضية؟

(د. عبد الهادي): خلال حديثك عن قضاياك تذكرت قضية معينة حدثت في الماضي ووجدت أن التشابه بينها كبير لدرجة قد تبدو غير منطقية لأن أحداث تلك القضية لم تقع في المدينة التي أنت بها الآن بل في أخرى مجاورة لها.. مدينة ((الرفوع))..

(إياد): أحتاج أن أطلع على هذه القضية لكن قبلها هناك سؤال طرأ ببالي حينما ذكرت مكان الجريمة

(د. عبد الهادي): ما هو؟



(إياد): ما هي احتمالية أن يكون الفاعل في القضايا العشر الشخص نفسه كون الأسلوب متقارباً؟

(د. عبد الهادي): هذا وارد جدّاً ونظرية «الصياد» التي شرحتها لك تعزز تلك الفكرة لكن ليس بالضرورة أن يكون ذلك هو الواقع فقد تكون عصابة منظمة تتبع النهج نفسه والأسلوب ذاته

(إياد): معنى ذلك لو لم ننظر للمجرم كشخص، بل ك «كيان» فسيكونون هم الفاعل نفسه..

(د. عبد الهادي): إلى حد ما نعم

(إياد): وهذا قد يفسر حدوث جريمة مماثلة في أماكن ومدن أخرى..

(د. عبد الهادي): فهمت قصدك.. وأتمنى ذلك لأنه لو كان الفاعل في القضية التي ذكرتها لك هو شخصاً يعمل وحده وهو نفسه المسؤول عن قضاياك العشر فهذا مؤشر سيئ جدّاً

(إياد): لماذا؟.. ماذا تقصد؟

(د. عبد الهادي): هذا يعني أن صيادنا قاتل متسلسل لا يرتبط بجغرافية معينة ومن خلال الضحايا يتضح أنه كذلك لا يتبع نمطية محددة في الشكل أو الجنس أو العمر وهذه العشوائية في انتقاء الضحايا تعقد الأمور على المحققين وتجعل تحديد الدوافع أصعب مما يقلص فرص كشف هوية المجرم

(إياد): لكن كشفها ليس مستحيلاً..



(د. عبد الهادي): لا يوجد شيء مستحيل.. خاصة على شاب ذكي ولمّاح مثلك

(إياد): أعتقد حان الوقت أن تخبرني عن تلك القضية التي وقعت في المدينة الأخرى

(د. عبد الهادي): معلوماتي عنها محدودة وكل ما أعرفه عنها أنها وقعت لشخص اسمه (يوسف) كانت تصله رسائل مجهولة المصدر وعرفت القضية باسم «النداء» بين أوساط الدائرة حينها اكتسبت شهرة وهذا ما جعلني أتذكرها خلال حديثنا

(إياد): وما سر اشتهار تلك القضية بالذات؟

(د. عبد الهادي): تدخل شرطة العاصمة في مجريات التحقيق فجأة بعد أيام من حدوثها وقيامها بالاستحواذ على كل الأدلة الملموسة التي جمعها المحقق الذي تولى القضية من قبل شرطة المدينة التي وقعت فيها ولم تترك لهم سوى التقرير الأولي الذي أعدوه يوم الحادث وما زاد الأمر غرابة هو أن المحقق الذي تولى القضية تم نقله لمنطقة نائية بقرار صدر من الوزارة بعد سحب القضية منه بشهر وكأنه ارتكب مخالفة ما

(إياد): سأرسل في طلبها من العاصمة إذاً

(د. عبد الهادي): أشك أنهم سيزودونك بالملف لأن تلك القضية قد صُنفت من القضايا السرية غير المسموح بتداولها خارج الدائرة

(إياد): أحتاج تفاصيل أكثر من التي أخبرتني بها..



(د. عبد الهادي): حسب علمي هناك نسخة من بعض أوراق ملف القضية التي قد تفيدك وهي لا تزال موجودة في أرشيف دائرة شرطة ((الرفوع)) لكن يجب عليك في هذه الحالة أن تطلب الملف بشكل رسمي من دائرتك

(إياد): أشك أن العميد (غازي) سيوافق على ذلك

(د. عبد الهادي): لن تحتاج مدير المركز لتقديم مثل هذا الطلب.. فقط يجب أن تكون علاقتك جيدة مع مسؤول الأرشيف فهو المخول بطلب مثل هذه الأمور بشكل رسمي ومستعجل

(إياد): أعتقد أني أعرف الشخص المناسب لهذه المهمة.. شكراً (د. عبد الهادي) على ما منحتني إياه من وقتك الثمين أنا بالفعل لا أعرف كيف أعبر عن امتناني

(د. عبد الهادي): لو تمكن تلميذي من حل هذه القضايا فسيكون ذلك أكبر شكر تقدمه لي..

(إياد): أعدك بأني سأفعل

(د. عبد الهادي): تصبح على خير..

أغلق (إياد) الخط واتصل مباشرة بـ (ياسر) الذي أجاب بصوت خفيض ومتعب:

«محقق (إياد)؟.. هل هناك مشكلة؟»

(إياد): هل نمت؟



(ياسر) بنبرة تثاؤب: نعم.. ألم تخبرني بأن أنام على الفور كي نستعد لاجتماعنا غداً مع العميد (غازي) لتقديم التقارير؟.. هل استجد شيء؟

(إياد): نعم.. سنؤجل الاجتماع وسنركز على أمر آخر لكن أخبرني قبلها كم يستغرق طلب ملف قضية من دائرة بمدينة أخرى؟

(ياسر): بالعادة من ثلاثة إلى خمسة أيام وحسب المسافة بين المدينتين

(إياد): ماذا عن المسافة بين مدينتكم ومدينة ((الرفوع))؟

(ياسر): أربعة أيام كحد أقصى.. لكن لمَ تسأل؟

(إياد): لأني أحتاج الاطلاع على ملف قضية موجودة عندهم بالأرشيف الخاص بهم.. لكن ما ذكرته وقت طويل.. ألا يوجد طريقة أسرع؟

(ياسر): بلى.. أن يُسلم الملف مناولة باليد لكن ذلك يتطلب ذهاب موظف مختص من الدائرة التي تطلب الملف للدائرة المسلمة له واستلامه بشكل رسمي

(إياد): وكم سيستغرق ذلك لو طلبت منك أن تقوم بتلك المهمة غداً؟

(ياسر): فقط المشوار بين المدينتين بالسيارة.. لو خرجت في الصباح الباكر فسيكون الملف بحوزتك بعد الظهر

(إياد): ممتاز.. اعتبر نفسك في مهمة رسمية ولا تعد إلا والملف معك

(ياسر): سأحتاج قبلها أن أعرج على مكتب الأرشيف صباحاً للحصول على بعض الاستمارات الرسمية لتقديم الطلب بشكل يدوي وأحتاج كذلك منك رقم القضية وبعض التفاصيل عنها كي يجدوا الملف بسرعة



(إياد): هذا دورك يا (ياسر).. كل ما أملكه هو اسم القضية المعروف في الدائرة بـ.. «النداء»..

(ياسر): حاضر سأتصرف.. سوف أستعين بمعارفي هناك ليساعدوني في إيجادها بأسرع وقت ممكن.. هل ترغب مني القيام بشيء آخر؟.. أن أقلك للعمل حينها أذهب مثلاً؟

(إياد): لا.. لا أريدك أن تتأخر.. لا تقلق سأستقل سيارة أجرة.. فقط أن تعود للنوم وألا تطيل السهر كي تنجز مهمتك غداً

(ياسر): سأفعل.. تصبح على خير.. مرة أخرى

(إياد) باساً قبل أن يغلق الخط: تصبح على خير..

في اليوم التالي ذهب (إياد) لمقر مركز الشرطة كعادته وتوجه لمكتبه في قسم الأرشيف حيث وجد الموظف الجديد الذي أوكل له (غازي) تولي مهام (ياسر) خلال تكليفه معه فنهض الموظف مقدماً التحية لـ (إياد) قائلاً:

«أهلاً محقق (إياد).. كنت أظن..»

(إياد) مقاطعاً ومشيراً بيده للموظف بالجلوس: أنا فقط هنا في زيارة سريعة.. هل رأيت (ياسر) اليوم؟

- رأيته صباحاً حينها أتى لطباعة بعض الأوراق

(إياد): جيد..

- و هل تحتاجني في شيء؟



(إياد): متى ينتهي دوامك؟

- الثانية بعد الظهر وحينها يأتي زميلي للفترة المسائية ليستلم مفاتيح المكتب ويغلقه لمدة ساعتين ويعود بعدها لتبدأ الفترة المسائية للأرشيف تمام الرابعة

(إياد): إذا حان ذلك الوقت ولم يعد (ياسر) فلا تغلق المكتب واتصل بي سأكون في المبنى

- أمرك

مضت ساعات العمل وانتهت الفترة الصباحية وبدأ الموظفون بالخروج بعد ما سلموا نوباتهم لزملائهم في الفترة المسائية وحينها دخل (إياد) على موظف الأرشيف ووجده وحده فقال: لم يعد (ياسر) بعد أذاً..

- لا ليس بعد وأنا في طريقي للخروج الآن

(إياد): لقد حاولت الاتصال به مرتين لكن هاتفه مغلق

- لا أعرف

(إياد): حسناً ناولني مفاتيح المكتب وسأبقى هنا بانتظاره وسوف أعطيها لزميلك المناوب حينها أراه

ناول الموظف المفاتيح قبل خروجه لـ (إياد) الذي جلس خلف المكتب بانتظار (ياسر)..

بعد عشر دقائق دخل الموظف المناوب فشرح له إياد الموقف واتفقا أن يعود في الرابعة لاستلام المفاتيح على افتراض أن (ياسر) سيصل قبلها



لكن ذلك لم يحدث ومضت الساعتان دون أن يظهر له أثر وهاتفه لا يزال مغلقاً.

حينما عاد الموظف المناوب ووجد (إياد) على حاله يدخن سارحاً في الأفق من خلال النافذة قال: هل انتهى الأمر؟

(إياد) ملتفتاً إليه: اسمع.. أنا سأرحل وإذا أتى (ياسر) إلى هنا في أي وقت خلال مناوبتك فأبلغه بضرورة التواصل معي في الحال

- أمرك

خرج المحقق (إياد) وركب مع إحدى الدوريات ووجهها بأخذه لمبنى الضباط حيث كان يقيم ودخل شقته وبقي ينتظر أي تطور في الوضع..

له مضت الساعات وحل المساء ولم يظهر (ياسر)..

ولم يفتح هاتفه..

خلال انتظار (إياد) وغرقه بين أفكاره وهواجسه وعن خطوته التالية رن جرس الباب فنهض وسار لفتحه وكان مستغرباً لأن ذلك المبنى لا يدخله المدنيون ومخصص فقط لموظفي وأفراد الشرطة ولا يوجد مناسبة أو سبب ليزوره أحد من قاطني المبنى في تلك الساعة لكن استغرابه زال حينها فتح الباب وشاهد (ياسر) يقف أمامه بملابس متسخة وممزقة وعلى ملامحه ظهرت معالم التعب والإرهاق وكأنه خاض عراكاً..

(إياد) وهو مصدوم: (ياسر)؟!.. أين كنت؟!.. وما الذي فعل بك هذا؟!

(ياسر) بفم مفتوح وهو يتنفس بثقل رافعا ملفا أمام وجه (إياد): هذا الملف هو السبب..



تجاهل (إياد) الملف وأسند (ياسر) بكتفه وأدخله لوسط شقته وأجلسه على الأريكة في غرفة المعيشة وتوجه مباشرة للمطبخ وأحضر كوباً من الماء ومده له قائلاً: «اشرب..»

رفع (ياسر) يده الراجفة المليئة بالجروح لكنه لم يقو على حمل الكوب فقام (إياد) بالجلوس وسقيه قائلا: ما الذي حدث؟

(ياسر) مبتلعاً شربة الماء: لا يهم ما حدث لي الآن الوقت ليس في مصلحتنا

(إياد): عن ماذا تتحدث؟

(ياسر) بوجه تائه ومشتت: دعك من هذا الآن.. خذ الملف واقرأ محتواه بعدها سنتحدث.. لا أريد أن تذهب تضحيتي سدىً

(إياد): لن أقرأ شيئاً قبل أن آخذك للمستشفى!

(ياسر) وهو يشد (إياد) من لباسه ويقرب وجهيها بعضها لبعض وبنبرة صارمة: لن نلحق أن نصل للمستشفى لو أضعت المزيد من الوقت.. أرجوك حاول أن تفهم!

(إياد) في حيرة من أمره: حسناً هدئ من روعك.. سأقرأ الملف

(ياسر) مسنداً ظهره للأريكة مغمضاً عينيه: حينها تنتهي نبهني وستخرج حيث تشاء.. سوف أرتاح قليلاً

سحب (إياد) الملف من فوق سطح الطاولة وألقي نظرة على غلافه الخارجي وقرأ:



القضية ٥٤/ A

«قسم الجرائم المعلوماتية»

فتح (إياد) الملف وبدأ بالقراءة..

وخلال قراءته أخذ يتصور الأحداث التي وقعت في ذهنه..



٧٥



النداء



هاتف نقال ينير على منضدة..

متزامناً مع صوت تنبيه ورود رسالة نصية جديدة في صندوق الرسائل.

يفتح (يوسف) عينيه وهو مستلق على سريره..

يمد يده ويتناول هاتفه وينظر للشاشة المنيرة بكلمة: «رسالة جديدة»

يفتح الهاتف بإبهامه ليقرأ محتوى تلك الرسالة التي وصلته قبل الفجر بدقائق.

كانت رسالة من مصدر مجهول فقد كُتب في خانة المُرسل «بدون رقم» ولم تحتو الرسالة سوى على مجموعة من الأرقام دون نص مرافق لها.



أمعن (يوسف) النظر لثوانٍ لتلك الأرقام وقرأ:

(٥١,٦٦٦٦٦٦ ,٢١.٦٦٦٦٦٦)

لم يعرها بالاً وعاد للنوم بعد تحويل الهاتف للوضع الصامت..

استيقظ (يوسف) مجدّداً على صوت هاتف منبه الرسائل ليجد الرسالة نفسها بالنص ذاته. نهض من فراشه مستغرباً وزاد استغرابه عندما وجد أن الوضع الصامت قد تبدل للوضع العادي وقال في نفسه: «يبدو أن الهاتف به خلل ما». أعاد هاتفه على المنضدة بجانب سريره واستلقى على فراشه محاولاً العودة للنوم لكن ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى استلم رسالة ثالثة بالمحتوى نفسه.

هذه المرة نهض (يوسف) من فراشه حاملاً معه الهاتف لغرفة المعيشة وبدأ بتقليب صندوق الرسائل الواردة باستغراب. لم يسفر عن ذلك البحث شيء ولم يجد تفسيراً لتلك الرسائل الغريبة التي استلمها.

لم يعد للنوم وبقي مستيقظاً يشاهد التلفاز حتى موعد عمله في الصباح..

عندما وصل لمقر عمله وهو شركة لتوزيع المواد الغذائية بدأ بمارسة عمله بشكل طبيعي حتى آخر دوامه وخلال عودته للمنزل وتوقفه عند إحدى الإشارات الضوئية تلقى رسالة رابعة بالمحتوى نفسه. بقي (يوسف) يحدق بالأرقام في تلك الرسالة يحاول جاهداً إيجاد تفسير أو تبرير لها وعمن كان يرسلها له لكن تركيزه انقطع حينها قامت سيارة خلفه بإطلاق بوقها كي ينتبه للإشارة التي اخضرت أمامه. وضع (يوسف) هاتفه على المقعد بجانبه وتحرك عائداً لمنزله خلالها تلقى رسالتين متتابعتين ولم يستطع فتحها مباشرة لأنه كان يقود في شارع مزدحم مما تسبب في تشتت ذهنه خلال القيادة وكاد أن يتسبب في حادث بسبب ذلك.



أوقف السيارة جانباً وتناول هاتفه وفتح الرسالتين اللتين لم تكونا سوى نسختين مطابقتين للرسائل التي استلمها سابقاً. في تلك اللحظة قرر (يوسف) تقصي حقيقة تلك الرسائل ومصدرها فتوجه لأقرب فرع لمزود خدمة الهاتف وجلس مع أحد موظفيه وشرح له رغبته في معرفة معنى ومصدر تلك الرسائل.

(موظف الاتصالات) وهو يتفحص الرسالة بعينيه: لا يمكننا تحديد مصدر الرسالة للأسف

(يوسف) باستغراب: كيف لا تستطيعون؟.. ألستم شركة متخصصة في هذه الأمور؟

(موظف الاتصالات) وهو يعيد الهاتف لـ (يوسف): بلى، ولكن مرسل هذه الرسائل يستخدم نوعاً من برامج التخفي ومعرفة مصدرها شبه مستحيل

(يوسف) بتجهم: ما فائدتكم إذاً؟!.. ألا تجيدون شيئاً سوى تحصيل الفواتير؟!

(موظف الاتصالات) بهدوء: هل تحتاج خدمة أخرى؟

(يوسف) ناهضاً بغضب: لا!

لفت ارتفاع صوت (يوسف) مع موظف الخدمات نظر أحد خدمة العملاء فتقدم نحوه مبتسماً وقال: «هل يمكنني موظفي أن أخدمك بشيء يا سيدي؟»

(يوسف) بتجهم: ستكون غير مفيد مثل زميلك!



(موظف خدمة العملاء) بلباقة: اشرح لي المشكلة فقد أتمكن من خدمتك

(يوسف) وهو يزفر بعصبية ويفتح هاتفه: هذه الرسالة!.. أريد معرفة من أرسلها لي!

أخذ موظف خدمة العملاء الهاتف وألقى نظرة على الرسالة ومحتواها ثم تبسم وقال: «للأسف لا يمكننا ذلك لأن المرسل غير ظاهر..»

(يوسف) منتزعاً هاتفه من يد الموظف بغضب: شكراً على المعلومة القيمة!

(موظف خدمة العملاء) مبتسماً: لكن يمكنني أن أخبرك بمحتوى الرسالة لو رغبت

(يوسف) وهو يهدأ قليلاً: تقصد تلك الأرقام العشوائية؟

(موظف خدمة العملاء): هذه ليست أرقاماً عشوائية، بل إحداثيات..

(يوسف) بتعجب: إحداثيات؟

(موظف خدمة العملاء): نعم.. إحداثيات لموقع ما

(يوسف): أين؟

(موظف خدمة العملاء): لا أعرف لكن يمكنك إدخال تلك الإحداثيات في أي محرك بحث على الإنترنت أو جهاز ملاحة وسيتم تحديد الموقع لك



(يوسف) وهو ينظر لشاشة هاتفه: لمَ يرسل لي أحدهم إحداثيات؟

(موظف خدمة العملاء) مبتسماً: ربما أحد أصدقائك يريد اللقاء بك في مكان ما.. هل تحتاج أي خدمة أخرى يا سيدي؟

(يوسف) وهو يسير مبتعداً عن الموظف دون النظر إليه: لا شكراً

ركب (يوسف) سيارته وأدخل تلك الأرقام في محرك بحث في الإنترنت كي تنتهي حيرته لكنها تضاعفت عندما أظهرت الإحداثيات موقعاً في الصحراء على بعد ٥٠٠ كلم من مدينه تقريباً. لم تكن مدينة أو قرية، بل مجرد بقعة خاوية وسط الصحراء الشاسعة. بقي (يوسف) في سيارته يحدق بشاشة هاتفه وبتلك النقطة المُحددة له في وسط الصحراء.

انقطع تركيزه بها عندما رن هاتفه ليظهر له: «لا يوجد رقم» في الشاشة فقام بالرد عليه:

«مرحبا.. من معي؟»

لم يتلق (يوسف) ردًّا لكن تملكه شعور قوي بأن هناك من ينصت له على الطرف الآخر..

(يوسف) بعصبية: «من يتحدث معي؟»!

أغلق المتصل الخط فتعجب (يوسف) ولم يستطع معاودة الاتصال لأن الرقم لم يظهر.. أدار محرك سيارته وقادها عائداً لمنزله..

عندما دخل البيت توجه مباشرة لغرفة النوم لأنه كان مرهقاً بسبب استيقاظه أول الفجر وخلد للنوم مباشرة. فتح عينيه ورأى أن الوقت كان



ليلاً ولم يعرف الساعة التي استيقظ فيها إلا عندما نظر في شاشة هاتفه ليكتشف أن الوقت شارف على منتصف الليل.

وقف (يوسف) وهو قابض على هاتفه وعلى وجهه تجلت ملامح الفزع الشديد عندما شاهد أن لديه ٧١٣ رسالة واردة وزاد خوفه ورهبته عندما فتح الرسائل ووجدها جميعاً متطابقة المحتوى وهي تلك الإحداثيات الغريبة.

في تلك اللحظة اتخذ (يوسف) قراره بالذهاب للشرطة والإبلاغ عن هذه الرسائل الغريبة المجهولة المصدر لكن بعد مقابلته للضابط المناوب أصيب بخيبة أمل فقد أفاده بأن الشرطة لا يمكنها التدخل بها أن محتوى الرسائل لا يتضمن أي تهديد ونصحه بمراجعة مزود الخدمة الخاص به أو فني لإصلاح الهواتف لعله خلل في هاتفه فشرح له (يوسف) أنه قام بذلك ولم يجد نتيجة وحاول إقناع الضابط بتحرير محضر لكن محاولاته باءت بالفشل ولم يستطع اتخاذ أي إجراء قانوني بحق مرسل تلك الرسائل.

خرج (يوسف) من القسم قرابة الثانية صباحاً وسار بخطاً بطيئة نحو سيارته المركونة وعندما أمسك بمقبض بابها رن الهاتف فتوقع أنه ذلك الرقم الخفي يتصل به مرة أخرى لكن المتصل كان رقماً اعتياديّاً غير مخزن في قائمة الأساء لديه ففتح الخط وقال: نعم؟

(المتصل): صباح الخير

(يوسف): أهلاً.. من معي؟

(المتصل): عذراً يبدو أني قد أخطأت في الاتصال



(يوسف) وهو يصرخ في المتصل: ماذا تريد مني؟!

(المتصل) بنبرة خوف: ما بك؟ أنا لا أريد منك شيئاً كنت فقط أريد الاتصال بزوجتي

أغلق (يوسف) الخط وركب سيارته وبدأ يضرب المقود بقبضته ساخطاً..

مضت الأيام واستمرت الرسائل تنهمر على هاتف (يوسف) وبالرغم من أنه قام بتغيير جهازه وشريحته إلا أن ذلك لم يُغير في الامر شيئاً وكانت أعداد الرسائل تزداد يوماً بعد يوم. وفي أحد الأيام وخلال جلسة لتناول الشاي حكى (يوسف) معاناته لـ (عزيز) وهو أحد أصدقائه المقربين وتربطه به علاقة وطيدة منذ الصغر والذي اقترح عليه اقتراحاً غريباً.

(عزيز): لمَ لا تذهب؟

(يوسف): أذهب إلى أين؟

(عزيز): للموقع الذي تشير له تلك الإحداثيات..

(يوسف): المكان في وسط صحراء خاوية

(عزيز) وهو يقرب كوب الشاي من فمه: لعلك تجد جواباً يريحك صوت رسالة واردة في هاتف (يوسف)..

(يوسف) متجاهلاً هاتفه: وكيف أصل لمكان ناءً مثل هذا؟

صوت رسالة أخرى واردة في هاتف (يوسف)..



(عزيز): ألن تجيب على هاتفك؟

(يوسف) بحسرة: وما الفائدة؟ إنها الرسالة نفسها يوماً بعد يوم؟

(عزيز): لن ينال أحد منك إذا لم يجد مكاناً في تفكيرك..

(يوسف): ماذا تقصد؟

(عزيز): تجاهل تلك الرسائل فقط ولا تجعلها تأخذ أكبر من حقها

(يوسف): الكلام أسهل من الفعل.. هذه الرسائل تثير أعصابي

(عزيز): يمكنني مرافقتك لو رغبت

(يوسف): إلى أين؟

(عزيز): إلى موقع تلك الإحداثيات

(يوسف): ومن قال لك إني ذاهب؟

(عزيز): ماذا تنوي أن تفعل إذاً؟

(يوسف) بحزن: لا أعرف..

صوت رسالة أخرى واردة إلى هاتف (يوسف)..

نظر (يوسف) بوجه مهموم لهاتفه على الطاولة أمامه وبقي صامتاً وسارحاً في شاشته المضيئة..

(عزيز): حسناً.. سوف أذهب أنا وابق أنت.. زودني فقط بالإحداثيات



(يوسف) وسرحانه ينقطع: لا لا.. هذه مشكلتي وحدي ولا أريد إقحامك فيها

(عزيز) ملتقطاً هاتف (يوسف) محاولاً فتحه: ما هو الرقم السري لهاتفك؟

(يوسف) منتزعاً الهاتف من يد (عزيز): لا! سوف أتخلص من الهاتف!

(عزيز): وهل ستبقى بلا هاتف؟

(يوسف): الهواتف ليست من أساسيات الحياة ويمكنني العيش بدونها

(عزيز): كا تشاء.. سوف أتواصل معك بالحمام الزاجل إذاً

(يوسف) وهو يبتسم: أعتقد أن هناك وسائل أقل مشقة من ذلك

تخلص (يوسف) من هاتفه وبالرغم من أنه واجه صعوبة في التأقلم في البداية إلا أنه اعتاد الأمر مع مرور الأيام. خلال تلك الفترة تعرض (يوسف) لكوابيس مرعبة كلها تمحورت حول تلك الأرقام ولم يكن يستطيع النوم لعشر دقائق متواصلة دون أن يستيقظ مفزوعاً من نومه. كانت أياماً عصيبة لم يخرج خلالها من المنزل حتى للذهاب لعمله أو التسوق أو للقيام بأي شيء فقد كان منهكاً طيلة الوقت ويسرق الدقائق للنوم وللحصول على بعض الراحة والتي كانت تعكر دائما بتلك الكوابيس.

استيقظ يوماً عندما سمع صوت بابه يُطرق وبدأ بالسير نحو الباب وفتحه دون أن يسأل من الطارق. كان خلف الباب (عزيز) الذي دخل لغرفة المعيشة مباشرة دون تقديم السلام وجلس فيها.



سار (يوسف) عائدا لغرفة المعيشة بعد ما أغلق الباب ثم جلس أمام صاحبه واضعاً قدماً على قدم بصمت.

(عزيز): يبدو أن حالتك تسوء يوماً بعد يوم..

(يوسف) بوجه مكتئب يحدق بالنافذة: ماذا تريد؟.. لمَ أتيت؟

(عزيز): أتيت للاطمئنان عليك

(يوسف) وهو يحك ذقنه الشائك بأظافره: وهل اطمأننت الآن؟

(عزيز): هل ما زلت ترى تلك الإحداثيات؟

(يوسف): لقد أصبحت تظهر لي في منامي ويقظتي ولا مهرب منها في أي مكان

(عزيز): ماذا عن عملك؟

(يوسف): توقفت عن الذهاب.. لا أستطيع ممارسة عملي بشكل طبيعي وأنا بهذه الحالة

صمت (عزيز) لثوان ثم قال: هل ترغب بمرافقتي غداً؟

(يوسف): أرافقك إلى أين؟

(عزيز): هل يهم إلى أين؟.. المهم أن تخرج قليلاً وتستنشق بعض الهواء

(يوسف): لا أشعر برغبة في ذلك



(عزيز) وهو ينهض ويهم بالسير نحو باب الخروج: سأعرج عليك غداً صباحاً كن مستعداً

(يوسف) بإحباط: لا فرق بين صباحٍ أو مساءٍ أنا لم أعد أهنأ بنومٍ أصلاً

(عزيز) مغلقاً الباب خلال خروجه: كن جاهزاً إذاً..

عاد (عزيز) في صباح اليوم التالي في وقتٍ مبكر وبدأ بطرق الباب حتى فتح له (يوسف) بالهيئة نفسها والملابس أنفسها التي قابله بها بالأمس فقال له (عزيز) بتعجب: ألم تبدل ملابسك؟

(يوسف) وهو يشد لباسه ويشتم رائحته: لباسي لا بأس به..

(عزيز): لا يهم.. هيا بنا

(يوسف): ألن تخبرني إلى أين نحن ذاهبان؟

(عزيز): ستعرف في الطريق

(يوسف): سأذهب لإحضار شيء وسألحق بك

(عزيز): حسناً لا تتأخر.. سأكون بانتظارك عند مدخل العمارة

بعد رحيل (عزيز) عاد يوسف أدراجه ودخل غرفة كان قد خصصها لحفظ بعض مقتنياته وبعد بحث قصير أخرج جهاز سجيل صغيراً وتحقق أنه مشحون بالكامل قبل أن يضعه في جيبه وبهم بالخروج واللحاق بصاحبه لأنه وقتها كان الشك قد تمكن منه وبلغ ذروته ولم يعد يثق بأي أحد حوله حتى المقربين منه . ركب الاثنان سيارة دفع رباعي كبيرة كانت في انتظارهما يقف خلف مقودها رجل غريب لم يعرفه



(يوسف) الذي ركب في المقعد الخلفي وتبعه (عزيز) بالركوب في المقعد الأمامي طالباً من.. السائق الانطلاق.

---(محتوى التسجيلات سري)---

- تم المصادرة والحفظ -

وجدت جثة (يوسف) وصاحبيه من قِبل أحد الرعاة في منطقة وسط الصحراء بعد عدة أيام وغزي سبب الوفاة لافتراسهم من قبل الحيوانات الصحراوية الضارية واستند الطب الشرعي في استنتاجه على الآثار المتروكة على عظامهم والتي كانت أثراً لأنياب كبيرة.

أغلق (إياد) الملف ووضعه على الطاولة..

أدار نظره تجاه (ياسر) ليجده نائماً..

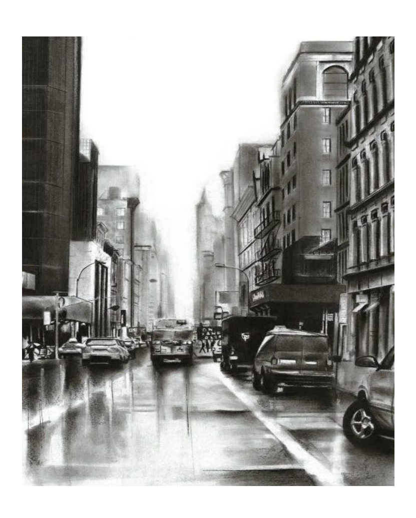
الود مد يده وبدأ يهزه لإيقاظه..

وجد أنه قد فارق الحياة..





طريق مسدود



بعد انقضاء أيام العزاء أقيم في قاعة الشرطة الكبيرة يوم تكريم لـ (ياسر) حضره جميع افراد وموظفي القسم وفي مقدمتهم (إياد) و (غازي) اللذان اجتمعا في مكتب مدير الدائرة بعدها ودار بينها النقاش التالي:

(غازي) وهو يشعل سيجارة: والآن.. ستخبرني بحقيقة ما حدث

(إياد): حقيقة ماذا؟

(غازي): اسمع أيها المحقق.. اليوم هو آخر يوم لك معنا وأنا ما زلت ممتنّاً لما قدمته لنا في حل تلك القضايا لكن هذا لن يكون سبباً كي أسكت على جريمة قتل أحد أفراد هذه الدائرة

(إياد): لقد قلت ما عندي في التحقيق..



(غازي) نافخاً سحابة من الدخان في وجه (إياد): (ياسر) مات بشقتك بعد ما تعرض لهجوم خلال تأديته مهمة رسمية أرسلته فيها.. التحقيقات في خط سيره ذلك اليوم كشفت أنه وصل (١١:٠٠) صباحاً لدائرة شرطة مدينة ((الرفوع)) وتحرك عائداً بعدها بساعة مما يعني أنه كان يجب أنه كان يجب أن يصل قرابة الـ (٣:٠٠) عصراً لكن ذلك لم يحدث ولم يتم رصده في شوارع المدينة إلا بعد الثامنة مساءً حينها كان متوجهاً لشقتك

(إياد): ماذا تريد أن تقول ؟ م (غازي) مستأنفاً: شرطة مدينة ((الرفوع)) ذكروا أن (ياسر) حصل على ملف لقضية قديمة بطلب رسمي.. أين هذا الملف؟

(إياد) ببرود: معي.. وسوف أقوم بتسليمه لكم اليوم.. احتجته لمراجعة قضية أخرى من القضايا التي أوكلتها لي

(غازي): ماذا عن هاتف (ياسر)؟

(إياد): ماذا عنه؟

(غازي): لم نجد له أثراً ولم يكن معه حينها فتشنا جثته

(إياد): لقد ذكرت في التحقيق أنني كنت أحاول الاتصال به وكان هاتفه مغلقاً

(غازي): اطلعت على إفادتك.. لكني أريد الحقيقة منك الآن

(إياد): لا يوجد عندي أي إفادة عدا التي ذكرتها في التحقيق الرسمي



(غازي): كاميرات المراقبة في مبنى سكن الضباط أثبتت أنه دخل شقتك وهو في حالة سيئة وهذا يتوافق مع تقرير الطب الشرعي لكن الفارق الزمني بين موعد وفاته كما هو في التقرير يختلف عن موعد وصوله عندك.. لمَ لم تأخذه للمستشفى فوراً.. لمَ انتظرت كل هذا الوقت حتى فارق الحياة؟.. أنت لم تقدم أي تعليق يخص هذه النقطة في التحقيق

(إياد): وهل هذا يجعلني متهمًا؟

(غازي): لا.. لكن ظروف وطريقة موته تثير الشبهات حولك (إياد): عميد (غازي).. أنا متفهم لحالتك وانزعاجك مما حدث.. لكن.. إما أن توجه لي اتهاماً رسمياً كي نكون واضحين أو أن توقع إنهاء تكليفي كي أعود للعاصمة

بقي (غازي) يحدق بـ (إياد) لثوان خلال تدخين ما تبقى من سيجارته ثم مد يده وسحب قلماً ووقع ورقة كانت أمامه وقال: بلغ تحياتي للمحقق (نادر)..

(إياد) وهو يأخذ الورقة بعد ما مدها له (غازي): هل يحق لي طلب أخير..؟

(غازي): تفضل

(إياد): أريد الاطلاع على تقرير الطب الشرعي الشرعي الخاص بـ (ياسر)

(غازي): لماذا؟



(إياد): لأنه ومن خلال معرفتي بقدرات دائرتكم العالية سوف تقيد هذه الحادثة في نهاية المطاف ضد مجهول وتركن في الأرشيف مثل غيرها وأنا أريد أن ألم بتفاصيلها قبل أن تطوى وتنسى

(غازي) بتجهم: لم يعد لك علاقة بهذه الدائرة بعد اليوم . وطلبك مرفوض!

نهض (إياد) عن مقعده وقال قبل أن يهم بالرحيل:

«سيصلك إذاً طلب رسمي من مركز العاصمة بتسليم الملف.. طاب يومك يا عميد (غازي)..»

الواحدة بعد منتصف الليل..

غرفة مغلقة في الطابق التاسع بمركز شرطة العاصمة..

يجتمع فيها اثنان..

المحقق (نادر).. والمحقق (إياد)..

(نادر) مخاطباً (إياد) وهو يقلب بعض الأوراق على طاولته:

«سمعت أن تقرير الطب الشرعي الذي طلبته وصل اليوم..»

(إياد): نعم صحيح وقد اطلعت عليه



(نادر): ما هذا التقرير الذي كلمني (غازي) عنه أكثر من مرة وهو مستاء من طلبنا له؟

(إياد): هذا التقرير يخص (ياسر) الذي حدثتك عنه

(نادر): آه.. نعم.. قضية «النداء».. هل وجدت في محتواه شيئاً يستحق العناء؟

(إياد): الطب الشرعي كشف تفاصيل غريبة عن حالة جثة

(ياسر).. وأكد أنه وقبل وفاته تعرض لعدة هجمات مؤذية من أمور يصعب تزامنها في الوقت ذاته

(نادر): مثل ماذا؟

(إياد): حروق.. عضات من حيوانات مختلفة.. كسور داخلية متفرقة مع عدم وجود تلف بالأنسجة العضلية فوق العظم وكأن العظم استهدف وحده ناهيك عن كمية الشعر المحروق في مناطق متعددة في جسده وهذا يحدث بالعادة حينها يتعرض الشخص لصعقات كهربائية عالية التردد

(نادر): وماذا أيضاً..؟

(إياد): ملاحظات جانبية كثيرة لكن أغربها هي وجود بعض الماء في رئته وهذا دليل على أنه تعرض للغرق أو كان يصارع في مسطح مائي وبعد تحليل عينة من الماء اكتشفوا أنه ماء بحر وتلك المدينة ليست ساحلية وأقرب بحر لها يبعد مئات الكيلومترات

(نادر) مطفئاً سيجارته: وما هو استنتاجك للموضوع؟



(إياد): ما تعرض له (ياسر) كان لمنعه من الوصول إلي بذلك الملف والمستفيد الأكبر هو الفاعل.. لكن كيف علم بتحركات (ياسر) ومجريات التحقيق الحالية؟.. أمور كثيرة غير مفهومة وصلت لطريق مسدود وكل ما يمكنني تخمينه في الوقت الحالي وبهذه المعطيات هو أن المجرم عصابة كاملة وليس شخصاً واحداً..

(نادر): أنت لن تترك هذه القضية وشأنها أليس كذلك؟

(إياد): أنت تعرفني..

(نادر): ما الذي يمكنني تقديمه لك؟

(إياد): ملف قضية «النداء» كان ناقصاً.. يوجد جزئية دون فيها أن هناك تسجيلات وأنها سرية ومحفوظة.. ما المقصود بالتسجيلات وأين هي: محفوظة؟

(نادر): هذه القضية تدخلنا فيها بشكل رسمي حينما كان التحقيق جارياً وقمنا بسحب كل ما يتعلق بها لأنها أظهرت معالم جريمة مرتبطة بجرائم أخرى خارج اختصاص الشرطة العادية

(إياد): تقصد أنها أصبحت من اختصاص «هيئة مكافحة الجرائم الخارقة» ؟

(نادر): نعم..

(إياد): وأنت رئيسها وأنا أحد أعضائها..

(نادر): قل ما عندك ولا تلمح



(إياد): ما حكاية هذه التسجيلات؟

(نادر): الضحية في القضية (يوسف) لم يكن أحمقَ فيما يبدو . ها مع صاحبه فقد أحضر معه جهاز تسجيل صوتي قبل ذهابه للموقع الذي كانت إحداثياته ترسل إليه باستمرار وقام بتشغيله طيلة الوقت منذ انطلاقهم من المدينة حتى لقوا مصرعهم.. وقد صادرنا التسجيلات من الشرطة وحفظناها في أرشيف الهيئة

نظر (إياد) لـ (نادر) دون أن يقول شيئاً..

(نادر): أعرف.. سوف أمنحك حق الاستماع لمحتوى التسجيل لمرة واحدة لكن بشرط

(إياد): ألا أبحث في القضية أكثر

(نادر): فقط لكونها قضية مفتوحة وقيد التحقيق في الهيئة ولم توكل إليك بشكل رسمي

(إياد): أنا متيقن من أن سبب موت (يوسف) وصاحبيه هو نفسه سبب اختفاء الضحايا في القضايا العشر.. وكذلك وفاة (ياسر).. هذه التسجيلات هي الحلقة المفقودة في بحثي عن الحقيقة وأنا أنسب شخص يمكنه أن يحلها

(نادر): القضية أكبر من مجرد مجرم متسلسل.. والهيئة لا تزال تعمل على جمع المعلومات حول ما تم اكتشافه وقد تجاوزنا مرحلة التحقيق في جرائم خطف وقتل اعتيادية لذا تدخلك فيها في هذه المرحلة بشكل عشوائي سيعكر صفو العمل الجاري.. ولا تنس أن «الهيئة» كانت وما زالت تعمل كفريق وليس كمحققين منفردين وأنت تعرف ذلك



(إياد): حسناً.. سأتخلى عن القضية لو منحتني الإذن بسماع تلك التسجيلات

نهض (نادر) وأشار لـ (إياد) باللحاق به..

ركب الاثنان السيارة وتوجها لمقر «هيئة مكافحة الجرائم الخارقة..»

بعد دخولها توجها مباشرة لغرفة العرض الكبيرة..

جلس (إياد) على أحد المقاعد المصفوفة أمام شاشة كبيرة تشبه شاشات العرض السينمائي..

(إياد): كنت أظن أن التسجيلات مسموعة وليست مرئية

(نادر): هي كذلك لكن خلال ساعك لها سوف أستعرض لك على الشاشة بعض الصور التي جمعناها وتخص القضية نفسها هل أنت جاهز ؟

(إياد): نعم..

توجه (نادر) لزاوية القاعة حيث كان هناك مكتب وجهاز غريب موصل بحاسوب وقام بتشغيلها لتضيء شاشة القاعة الكبيرة بنور أبيض..

(نادر) محدثاً (إياد) من الخلف:

«بعد ما ينتهي التسجيل لا تفتح الموضوع معي أبداً إلا إذاً اثرته أنا معك هل تفهمني؟»

(إياد) يهز رأسه بالموافقة..



ضغط (نادر) على قابس التشغيل وأطفأ الأنوار قبل خروجه من المكان..

الشاشة الكبيرة تظهر مجموعة من الصورة لمناطق أثرية قديمة..

خلالها ظهر صوت تشويش خفيض..

تبعه صوت سيارة تتحرك..

ثلاثة أشخاص يتحاورون..





فخ الصياد



تحركت السيارة ذات الدفع الرباعي وبقي الثلاثة صامتين لفترة لكن (يوسف) خرج عن صمته عندما بدأ يلاحظ ابتعادهم عن وسط المدينة وسلكهم طريقاً يقود نحو مدينة أخرى..

راقب (يوسف) الرمال التي أحاطت بالطريق من الجهتين ثم قال: «هل ستخبرني الآن أين نحن ذاهبون يا (عزيز)؟»

التفت (عزيز) وأشار للسائق قائلاً:

«هذا (عبد الكريم) مرشدنا..»

(يوسف): مرشدنا؟



(عزيز): نعم.. فهو خبير في كل ما يختص بالصحراء ومخاطرها وكذلك مُلم بأجهزة الملاحة الحديثة

(يوسف) بتجهم: هل نحن ذاهبون إلى..

(عزيز) مقاطعاً: نعم ذاهبون لموقع الإحداثيات.. هل كنت تظن أني سأتركك تضمحل هكذا يوماً بعد يوم حتى تموت أو تفقد عقلك؟

(يوسف): وكيف سنجد المكان؟

(عبد الكريم) مشيراً لشاشة مثبتة أمامه: الأمر ليس بتلك الصعوبة لقد أدخلت الإحداثيات في جهاز الملاحة وخلال ساعات سنكون عند تلك النقطة في وسط الصحراء

(عزيز): هل سنصل قبل الليل؟

(عبد الكريم): معظم الطريق غير معبد ورملي والمسافة ليست بسيطة فهي تتجاوز الـ ٥٠٠ كيلو متر فلا شك أننا لن نصل إلا بعد غروب الشمس

(يوسف): ماذا تتوقع أن نجد هناك ؟

(عبد الكريم) ضاحكاً: الكثير من الرمال وبعض عقارب الصحراء على الأرجح!

(عزيز) لـ (يوسف): حاول أن تأخذ قسطاً من النوم قبل أن نصل

(يوسف): الكوابيس تمنعني..

(عزيز): لدي إحساس بأنك لن تعاني منها الآن



(يوسف) وهو يستلقي في المقعد الخلفي: حسنا.. سأحاول النوم..

غط (يوسف) في نومٍ عميق ولم يتعكر نومه بالرغم من وعورة الطريق الذي سلكوه بعد ساعة تقريباً من السير على الطريق المعبد تبعها ساعات من المسير عبر رمال الصحراء وفوق كثبانها ليصل الثلاثة في نهاية المطاف تزامناً مع غروب الشمس لسور شبكي من الحديد فأوقف (عبد الكريم) السيارة وقال لـ (عزيز): «يبدو أن المنطقة خلف هذه النقطة محظورة على العامة..»

(عزيز): هل هذه منطقة خطرة؟

(عبد الكريم) وهو يطل برأسه من النافذة ويمعن النظر بالسور: ربا.. لا يوجد لوحة إرشادية تفيد بذلك.. قد تكون منطقة صناعية أو محمية للحيوانات البرية

(عزيز) وهو ينظر لصاحبه النائم: هل يعني ذلك أننا سنعود؟

(عبد الكريم): لقد استأجرت خدماتي كي آخذك لتلك الإحداثيات وسوف أفعل.. لكن أحتاج موافقتك

(عزيز): موافقتي على ماذا؟

(عبد الكريم): على تجاوز هذه النقطة.. أنا لن أخرق القانون إلا إذا رغبت أنت؟

(عزيز): وكيف ستتجاوز هذا الشبك الحديدي؟ لا أرى بوابة يمكن تجاوزها



(عبد الكريم): اترك ذلك لي.. أحتاج فقط إذنك بتجاوزها كي لا ألام على أي مشكلات قانونية قد نقع فيها

(عزيز): حسناً.. افعل ما تريد لتجاوز هذه النقطة وأي مسؤولية سأتحملها أنا

(عبد الكريم): هذا ما أردت ساعه منك فقط

ترجل (عبد الكريم) من السيارة وأخرج قاطعاً كبيراً من صندوقها وبدأ بقطع الأسلاك الحديدية في السور محدثاً فتحة مرت من خلالها سيارتهم بسهولة وأكملوا الطريق. لم يحاول (عزيز) إيقاظ (يوسف) خلال سيرهم حتى وصلوا للموقع عند منتصف الليل.

(عزيز) لـ (يوسف) وهو يهز كتفه: انهض!.. انهض!

(يوسف) فاتحاً عينيه بكسل: ماذا؟.. أين أنا؟ (عزيز) مبتسماً: لقد وصلنا..

(يوسف) ينهض بثقل: وصلنا إلى أين؟

(عزيز) وهو يفتح باب السيارة ويترجل منها: هيا لترى بنفسك!

(يوسف) جائلاً بنظره حوله: أين نحن؟

خرج الاثنان من السيارة وسارا بضع خطوات نحو (عبد الكريم) الواقف تحت النجوم ممسكاً بجهاز بيده يراقب شاشته بتمعن ويقول: «نحن الآن عند موقع الإحداثيات تماماً..»

(عزيز) وهو ينظر حوله: لا يوجد شيء



(يوسف): مجرد رمال على مد البصر

(عبد الكريم): ماذا كنتها تتوقعان أن تجدا؟

(عزيز): بعض الإجابات ربما..

(عبد الكريم): إجابات على ماذا؟

(يوسف): هل أنت متيقن من أننا في المكان الصحيح؟

(عبد الكريم) وهو يمد الجهاز لـ (يوسف): انظر بنفسك

(يوسف): أنا لا أجيد قراءة تلك الأجهزة

(عبد الكريم): نحن عند الإحداثية (٦٦٦٦٦ ٢١ ، ٦٦٦٦٦٦ ، ٥١) ألم تكن هذه وجهتكا؟

(عزيز) وهو لا يزال ينظر حوله: بلى.. بلى

(عبد الكريم): ماذا الآن؟

(يوسف): نعود..

(عزيز): هل أنت متيقن؟

(يوسف): نعم.. لقد نمت بلا كوابيس خلال الطريق.. يبدو أن الأمر انتهى

(عبد الكريم): أي أمر؟

(عزيز) مبتسماً: لا يهم.. المهم أن الكوابيس توقفت



(عبد الكريم) وهو يسير عائداً نحو السيارة: كما تشاءان.. سأشغل السيارة

(عزيز) واضعاً يده على كتف (يوسف): هيا لنعد

(يوسف) زافراً محدقاً بالأفق: حسناً..

ركب الثلاثة السيارة وأدار (عبد الكريم) المحرك لكنه لم يعمل فحاول عدة مرات ولم يستطع تشغيله فقال بتعجب: «ما الحكاية؟»

(عزيز): ما الأمر؟

(عبد الكريم): يبدو أن البطارية تعطلت (يوسف) بقلق: وما العمل؟

(عبد الكريم) مترجلاً من السيارة: لا تقلقا لدي بطارية احتياطية في صندوق السيارة

أحضر (عبد الكريم) البطارية الاحتياطية وقام بتركيبها وعاد وأدار المحرك مرة أخرى لكن السيارة لم تعمل أيضاً..

(عبد الكريم) مديراً المفتاح للمرة الخامسة: أمر غريب

(عزيز): ربا العطل من شيء آخر

(عبد الكريم) وهو يسحب المفتاح ويضعه أمامه: سنبقى هنا حتى أكتشف سبب العطل

(يوسف): وكم سيستغرق ذلك من وقت؟



(عبد الكريم) مبتسماً: لدي كافة الأدوات اللازمة للتخييم هنا ونحن على أي حال لم نتناول شيئا سوى الشاي والقهوة طيلة الطريق ولا بد أنكما جائعان.. جلبت معي بعض الوجبات الخفيفة

(عزيز): سوف نشعل أنا و (يوسف) ناراً ونعد بعض الطعام ريثا تنتهي من إصلاح السيارة

(عبد الكريم): حسناً لن يطول الأمر بإذن الله

قام (عزيز) و(يوسف) بإخراج الأدوات اللازمة لتهيئة مكان الجلوس وسارا بضعة أمتار عن السيارة وجلسا تحت ضوء القمر والنجوم بعد ما أشعلا النار .

(يوسف) لـ (عزيز) وهو يتناول فطيرة من الفطائر التي أحضرها (عبد الكريم) معه: أين وجدت هذا الشخص؟

(عزيز) محتسياً بعض الشاي الذي أعداه على النار ناظراً لـ (عبد الكريم) البعيد منها قليلاً خلال تفحصه لمحرك السيارة: تقصد (عبد الكريم)؟

(يوسف): نعم

(عزيز): ذهبت لمحل لبيع لوازم الرحلات الخلوية لشراء جهاز ملاحة لأني كنت أنوي القدوم هنا وحدي وكان (عبد الكريم) صاحب المحل وتحدثت معه عن رغبتي تلك فعرض علي خدماته بمقابل مادي حيث إنه كان يقوم بتنظيم رحلات خلوية للصحراء ويملك خبرة في هذه الأمور

(يوسف) وهو يلقي نظرة على (عبد الكريم) المنهمك في إصلاح السيارة: لا يبدو أن سيارته معدة لمثل هذه الرحلات



(عزيز) مخرجاً هاتفه من جيبه: المهم أننا تحققنا

(يوسف): تحققنا من ماذا؟

(عزيز) متفحصاً هاتفه: لا يوجد أبراج تغطية هنا

(يوسف): أجبني.. تحققنا من ماذا؟

(عزيز) واضعاً هاتفه على الأرض بجانبه: من أن تلك الإحداثيات لا تعني شيئاً

(يوسف) بسخرية: ماذا كنت تتوقع أن نجد هنا؟

(عزيز): لا أعرف لكن الأمر كان يعكر صفو حياتك وكان لا بد من أن ترى بعينك أن المسألة مجرد أرقام لا معنى لها وجدت طريقها إلى هاتفك

(يوسف): تلك الأرقام لم تطاردني من خلال هاتفي فقط

(عزيز): ماذا تقصد؟

في تلك اللحظة هبت نسمة باردة..

(يوسف) محتضناً نفسه: الجو. يزداد برودة.. هل أحضر تما معكما بعض الأغطي؟

(عزيز) منادياً على (عبد الكريم) بصوتٍ مرتفع دون أن يلتفت خلفه: هل أحضرت معك شيئاً يمكننا أن نستخدمه للتدفئة عدا هذه النار؟!

لم يرد (عبد الكريم) على (عزيز)..



كرر (عزيز) النداء وخلال ذلك التفت (يوسف) نحو السيارة وقال: أين صاحبك؟.. لا أراه

(عزيز) وهو يحرك رأسه ونظره متفحصاً السيارة وما حولها: ربا ذهب لقضاء حاجته..

وقف (يوسف) وقال بنبرة خالطها التوجس والقلق: هيا لنتحقق سار الاثنان نحو السيارة وعندما وصلا إليها بدأا بالدوران حولها والمناداة على (عبد الكريم) لكنها لم يجدا إجابة أو أي أثر له وخلال ذلك انطفأت النار المشتعلة على بعد منها فجأة فقال (يوسف) بتوتر: ماذا يحدث؟ هل صاحبك يتلاعب بنا؟

(عزيز) وهو ينظر لمكان جلوسها السابق: لا أعتقد

(يوسف): ما الذي يحدث إذاً؟!

(عزيز): حاول تشغيل السيارة

(يوسف): المفتاح مع صاحبك وليس معي

(عزيز): لقد وضعه أمام المقود ستجده عند ركوبك وأنا سوف أحضر هاتفي لقد تركته عند مكان جلوسنا

(يوسف): سوف آتي معك

(عزيز) يسير لمكان جلوسها السابق: لا داعي لذلك فقط حاول تشغيل السيارة



ركب (يوسف) السيارة وحاول إدارة المحرك لكن دون فائدة فأخرج رأسه من النافذة وقال بصوت مرتفع: السيارة لا تزال معطلة!

لم يرد أحد..

نزل (يوسف) من السيارة وتوتره تحول لخوف عندما لم يرد عليه النار (عزيز) ومشى حتى وصل لمكان جلوسها ولم يجد سوى الخامدة وأكياس الفطائر التي تناولاها سابقا والريح تلعب بها وسط هدوء مخيف لم يعكره سوى صفير الريح الخفيفة التي ك كانت خيرة من عب. وقف (يوسف) لدقائق متسمراً مكانه ينظر حوله وأمامه في أمره والخوف قابض على صدره لكن ذلك الخوف تحول لرعب عندما شاهد في الأفق أمامه خيال شيء أسود يسير نحوه.

(يوسف) منادياً: من هناك؟!.. من أنت؟!

لم تأتِ أي إجابة ولم تكن الرؤية واضحة بالرغم من اكتمال القمر تلك الليلة لكن ما كان واضحاً أن شيئاً ما كان يقترب منه. في لحظة من الخوف الشديد لم يجد (يوسف) أي ردة فعل يقوم بها سوى الجلوس مكانه ومراقبة ذلك الشيء يدنو منه أكثر وأكثر.

بدأت معالم ذلك الشيء تظهر تدريجاً مع تقلص المسافة بينها ولم يتعرف (يوسف) على هوية ذلك الشيء المقترب إلا عندما أصبحت المسافة بينها أمتاراً معدودة ليرى رجلاً بلباس أسود طويل يخطو



بخطوات ثابتة نحوه. استقر الرجل عند طرف السجادة المفروشة وأخذ يحدق بـ (يوسف) مبتسماً لثوانٍ ثم قال:

«كيف حالك يا (يوسف)؟»

نظر (يوسف) للرجل بتوتر دون أن يرد عليه..

(الغريب) مبتسماً: هل يمكنني الجلوس؟

(يوسف) بارتباك مشيراً بيده لمكان أمامه: نـ.. عم.. تفضل..

جلس الرجل الغريب أمام (يوسف) ودار بنظره حول المكان ثم قال:

«في كل مرة أعود لهذا المكان أراه يزداد جمالاً عن السابق.. أرضكم جميلة بالفعل..»

(يوسف) بتوجس: من أنت؟.. هل أنت من الجن؟

(الغريب) معيداً نظره لـ (يوسف): لا..

(يوسف) بارتياح: إذاً أنت إنسان

(الغريب): لم أقل ذلك..

(يوسف) والخوف يعتريه مجدداً: ما أنت إذاً؟!

(الغريب) متجاهلاً سؤال (يوسف): ألم تصلك رسالتي؟

(يوسف): أي رسالة؟

(الغريب): الرسالة التي أتت بك إلى هنا



(يوسف) بتوتر شديد: أنت من كنت ترسل تلك الإحداثيات؟!

(الغريب): نعم..

(يوسف): لماذا؟ لمَ كنت ترسل تلك الرسائل لي بالذات؟

(الغريب): لست الوحيد الذي تصله مثل تلك الرسائل وكان من المفترض أن تأتي وحدك

(يوسف): أين صديقاي؟

(الغريب): تقصد (عزيز) و (عبد الكريم)؟

(يوسف) بقلق شديد: نعم أين أخذتها؟

(الغريب): اعتبرتها فدية مقبولة منك

(يوسف): فدية؟!

(الغريب): نعم وأنصحك بالرحيل قبل أن يجدك أحدٌ غيري

صمت (يوسف) ولم يستمر في الحديث مع ذلك الرجل واكتفى بمراقبته وتفحصه بنظره..

(الغريب) مبتسماً: اسمع.. أنا أعرف أن الأمر بالنسبة لك محير لكن هذا لا يعني أنك يجب أن تعرف التفاصيل

(يوسف): أخبرني على الأقل ما أنت؟

(الغريب): خلق من خلق الله..



(يوسف) بتجهم: هذه ليست إجابة!

(الغريب): نحن نزور الأرض منذ آلاف السنين لأغراض كثيرة وأنا اليوم هنا في زيارة سريعة فقط

(يوسف): أنتم؟

(الغريب): هل تظن أني الوحيد أو الأول أو الأخير؟

(يوسف): وما غرض تلك الزيارات؟

(الغريب): نحن نجهز

(يوسف): تجهزون ماذا؟

(الغريب) رافعاً سبابته للأعلى محركاً طرفها لعدة اتجاهات وكأنه يعد النجوم: ليومٍ معلوم..

(يوسف): عن ماذا تتحدث؟.. أي يوم؟

(الغريب): يوم لن تلحق أن تراه.. .

(يوسف): هل هو بعيد لتلك الدرجة؟

(الغريب): ليس بعيداً لهذا الحد.. لكن بعيد

صمت (يوسف) ولم يستأنف الحديث..

(الغريب): لقد سألتني سابقا عن سبب إرسالي تلك الرسائل لك



(يوسف): نعم.. ولم أحصل على إجابة شافية.. ولم رسائل نصية على الهاتف بالذات؟

(الغريب): الرسائل التي نرسلها أنواع.. نصية.. سمعية.. أحلام.. هلوسات.. أصوات.. وسائل كثيرة الغرض منها واحد

(يوسف): وأي غرض هذا؟

(الغريب): حسناً.. ماذا تفعل عندما تشعر بالجوع؟

(يوسف) مستغرباً من سؤال الرجل: آكل

(الغريب): ماذا تأكل؟

(يوسف): أي طعام متوفر.. ما هذه الأسئلة؟

(الغريب): فقط أجب وستعرف الهدف من زيارتي هذه

(يوسف): لقد أجبتك ولم أفهم شيئاً

(الغريب): ما هو طبقك المفضل؟

(يوسف) وهو منزعج من تلك الأسئلة الغريبة: لا أعرف.. الدجاج عموماً أحبه

(الغريب) مبتسماً: جميل.. ومن أين تحصل عليه؟

(يوسف): من أي محل بقالة؟

(الغريب): ومن أين تحصل محلات البقالة على الدجاج؟



(يوسف): من المزارع على ما أظن

(الغريب): بالضبط

(يوسف): بالضبط ماذا؟

(الغريب): عالمكم له أغراض كثيرة بالنسبة لنا ومن ضمنها هو أنه كالمزرعة التي نحضر منها «الدجاج»..

(يوسف) بتوجس: وما علاقة ذلك بي؟

نظر الرجل الغريب في أعين (يوسف) مباشرة وقال:

«أنا هنا للتسوق.. وأنت السلعة التي أتيت لاقتنائها لكن وجود صاحبيك أغناني عن أخذك لذا سأكتفي بها..»

(يوسف) وهو مصدوم لكن يحاول أن يتماسك: ولمَ لم تأتِ لمنزلي مباشرة؟.. لم تستدعيني لهذه المنطقة النائية؟.. من الواضح أنك تملك قدرات تمكنك من ذلك

(الغريب): هناك قوانين لا أستطيع تجاوزها وأماكن ممنوع علينا في الوقت الحالي دخولها لكن سندخلها يوماً ما

(يوسف): تتحدث عن القانون وفي الوقت نفسه تمارس الخطف

(الغريب) وهو ينهض: انتهى وقتي معك

(يوسف) يقف بتوجس وارتباك: إلى أين؟



(الغريب) رافعاً رأسه للسماء: يجب أن أرحل الآن.. وأنت أيضاً يجب أن تعود من حيث أتيت وبسرعة

(يوسف): كيف أعود؟.. السيارة معطلة ولا يوجد تغطية للهاتف هنا

(الغريب) وقد بدأ بالسير مبتعداً عن (يوسف): السيارة ستعمل الآن.. لا تضيع الوقت

بقي (يوسف) يراقب الرجل الغريب وهو يسير في الطريق نفسه الذي أتى منه وقبل أن يختفي من الأفق شاهد وميضاً قويّاً يلمع حيث كان الرجل وعندما زال ذلك النور الخاطف لم يرَ له أثراً..

عاد (يوسف) للسيارة وأدار المحرك الذي عمل على الفور وكأن لم يكن به خلل. أمسك بالمقود وقادها بسرعة مبتعداً عن المكان.. يكن مع (يوسف) الكثير من الوقود فقد استهلك (عبد الكريم) كل الصفائح الاحتياطية التي أحضرها معه ولم يتبق في الخزان سوى كمية كافية للعودة مباشرة لكن (يوسف) لم يكن يعرف طريق العودة ولا يجيد استخدام نظام الملاحة أو حتى الاسترشاد بالنجوم وظل يهيم في الصحراء ليلاً مستعيناً فقط بكشافات السيارة لرؤية الطريق أمامه والذي كان عبارة عن أفقٍ لا منتهٍ من الكثبان الرملية.

كان (يوسف) يدرك وقتها أن جهاز التسجيل بحوزته سجل محادثته مع الرجل الغريب ولا يزال يسجل قرر وصف كل ما كان يراه ويشعر به طيلة الطريق على قدر استطاعته في حال لم ينجُ ولم يبق سوى هذا التسجيل من بعده .

خلال سيره داس (يوسف) على الفرامل فجأة وأوقف السيارة عندما ظهر أمامه شيءٌ ليس كإحدى الشجيرات الصغيرة أو الصخور المتناثرة التي



كان يتجاوزها طيلة الطريق. بدا له في بادئ الأمر وكأنه حيوان شبه متحلل لكنه قرر النزول من السيارة والتحقق بنفسه فرفع مستوى الإنارة وترجل من سيارته وبدأ بالسير نحوه.

بعد عدة خطوات حذرة وصل (يوسف) لذلك الشيء المدفون جزئيّاً في الرمال وبعد ثوانٍ قليلة من التمعن به وضع يده على فمه عندما أدرك أنه لم يكن سوى جثتي (عزيز) و (عبد الكريم) وقد كانت أجسادهما في حالة بشعة وكأن سباعاً ضارية قد افترستها فعظامها المبتلة بالدماء شكلت أغلب الظاهر منها فوق سطح الأرض وكانت جثتاهما معجونتين بعضها ببعض ولم يتعرف عليها إلا من خلال خاتمٍ كان يلبسه (عزيز) في خنصر يده الأيسر ولباس (عبد الكريم) الممزق.

هرع (يوسف) جرياً نحو السيارة وأكمل مسيره متجاوزاً جثتيها نصف المدفونتين بالرمال. أغلق جهاز التكييف وفتح النوافذ لتوفير الوقود واستمر بالتجوال في الصحراء على أمل أن يجد طريق العودة أو أن يرى أحداً يقدم له المساعدة. خلال ذلك بدأ (يوسف) يسمع أصواتاً آتية من الصحراء الخاوية حوله فتوقف محاولاً الإنصات لها لكنها اختفت ولم يسمع شيئاً.

أطفأ المحرك ليحصل على بعض الهدوء لعله يستطيع التقاط ذلك الصوت مرة أخرى ظنّاً منه أنها قد تكون أصواتاً لسيارات أخرى في المكان لكن الهدوء حوله كان تاماً ومطبقاً. أدار المحرك مجددا كي يستأنف البحث عن مخرج من متاهته لكن السيارة غرزت في الرمال ولم يتمكن من إخراجها بعد محاولات عديدة ومتكررة لكن دون جدوى.

نزل من السيارة وسار للعجلات المدفونة محاولاً الحفر أسفل منها بيديه..



وفي تلك اللحظة سمع صوتاً جمد الدم في عروقه..

سمع صوتاً كصفير الطيور آتياً من عدة اتجاهات حوله..

حاول تهدئة نفسه وعزو تلك الأصوات للكائنات الصحراوية لكن ذلك التبرير لم يصمد طويلا عندما تحول الصفير لما يشبه الطقطقة..

نهض (يوسف) وعاد بهدوء للسيارة وأغلق الباب والنوافذ والأنوار وبقي يراقب الأفق أمامه من خلف الزجاج..

وبالرغم من شعوره بالعطش إلا أنه لم يفكر بالنزول من السيارة..

شعر بعدها بدقائق بالنعاس وبدأ رأسه يميل للأمام وأجفانه بالنزول لكن وقبل أن يغفو بهره نور قوي ظهر أمامه فجأة..

تبعه صراخ (يوسف) وانقطاع التسجيل..

اشتعلت أنوار القاعة..

التفت (إياد) ليرى (نادر) يقترب منه حاملاً ورقة بيده وهو يقول:

«كيف وجدت العرض..؟ »

(إياد): هذه القضية ستشغل بالي لكني سأحترم رغبتك..

(نادر) واضعاً الورقة في حجر (إياد): ربما هذه ستنسيك تلك القضية..

(إياد): ما هذه؟

(نادر): تقرير وصلنا بالأمس عن جثة وجدوها في زقاقٍ بالمدينة



(إياد) رافعاً الورقة أمام نظره: جريمة قتل؟

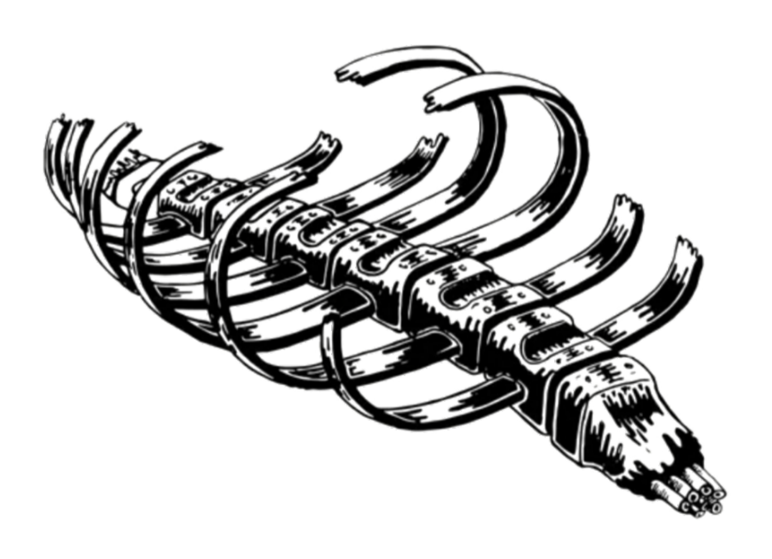
(نادر): ليست أي جريمة.. اقرأ التفاصيل التي تخص جثة القتيل (إياد) وعيناه تتسعان: إنها..

(نادر) وهو يسير نحو مخرج القاعة:

«نعم.. يبدو أن قضية «البناية» لم تعد باردة ويجدر بك أن تعود للتحقيق فيها..»







الروائي

أسامة المسلم



بين مخير ومسير يمضي البشر في حياتهم ..
وبين مفترس وضحية تهيم البهائم فيما بينها ..
لكن.. هل هناك فرق حقا؟
وهل نحن من يختار خطواتنا التي نخطوها؟
أم أن هناك من يمكر بنا؟ ..
ويقودنا حيث يشاء ..

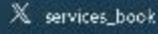


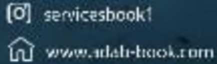




9 786038 403880







adabarabi 7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com



